دراسات

تطوير مجموعات المكتبات الجامعية في السعودية وتقييمها

دراسة استطلاعية

فالح عبدالله الغامدي
كلية التربية
جامعة الملك فيصل

ملخص

يهدف هذا البحث إلى التعرف على الواقع الخاص بتطوير مجموعات المكتبات الجامعية بالمملكة العربية السعودية وتقييمها ، وقد قام الباحث بجمع المعلومات المطلوبة عن طريق استبانة ، حيث قام بتوزيعها على سبع جامعات في المملكة هي : جامعة الملك سعود ، وجامعة الملك عبدالعزيز ، وجامعة الإمام محمد بن سعود ، وجامعة الملك فهد للبترول والمعادن ، وجامعة الملك فيصل ، وجامعة أم القرى ، والجامعة الإسلامية .

وبعد وصول الإجابات قام الباحث بسردها ، وتفسيرها ، ووجد أن هناك قصوراً في السياسات الخاصة بإدارة ، وتطوير ، وتقييم مجموعات المكتبات الجامعية في السعودية ، وذلك لعدم وجود أقسام مستقلة للمجموعات ، أو خطط مكتوبة ، أو عدد كافٍ من الموظفين في أغلب المكتبات . وبناءً على ذلك قدم بعض المقترحات والتوصيات .

المقدمة

الهدف الأساس لأية مكتبة هو خدمة جمهورها ، وتلبية احتياجاتهم ورغباتهم . وهذه الاحتياجات والرغبات هي المحور الأساس الذي يقوم عليه عمل المكتبة، ويتم في ضوئه تقييم مجموعاتها .

وفي العصر الحاضر قد يكون من الصعب قبول الاعتقاد التقليدي القائل إن نجاح المكتبة وكفايتها يمكن تحديدهما عن طريق حجم المجموعات على اعتبار أن الأكبر هو الأفضل . فالحجم ليس معياراً دقيقاً لتحديد المستوى النوعي للمجموعات ، ولا يمكن عدّه دليلاً قاطعاً على قدرة المكتبة في تلبية احتياجات جمهورها ، خاصة إذا لم تبن مجموعات المكتبة في الأساس وفقاً لهذه الاحتياجات .

ومع تعدد التخصصات الأكاديمية والبرامج الدراسية ، ووجود كم هائل من المعلومات المقروءة ، والمسموعة ، والمرئية ، وتقلص موارد المكتبات المالية أصبح الاكتفاء الذاتي بالنسبة للمكتبات حلماً يصعب تحقيقه الأمر الذي يجعل المكتبات أمام خيارين مهمين أولهما تطوير ، ومراجعة وتقييم مجموعاتها بشكل دوري وفقاً لإمكاناتها ، واحتياجات روادها ، وثانيهما الدخول في برامج تعاونية مع مكتبات أخرى لتبادل المجموعات ومصادر المعلومات ، وفي كلتا الحالتين تكون عملية تطوير المجموعات وتقييمها عملية مهمة يصعب تجاهلها أو اتخاذ قرار بدونها .

والمجموعات تعني كل ما تحتويه المكتبة من أوعية معلومات وفي مقدمتها الكتب ، والدوريات ، والمواد السمعية والبصرية ، والمخطوطات ، والخرائط ... إلخ، أما عملية التطوير فيقصد بها العملية المنظمة التي تساعد على الرفع من مستوى كفاية ، وكفاءة ، وشمولية المجموعات حسب الأهداف المرسومة للمكتبة . ويقصد بالتقييم تحديد المستوى الكمي والنوعي للمجموعات لمعرفة نقاط الضعف والقوة فيها ، ومن ثم استبعاد المجموعات غير المناسبة ، واستبدالها بمجموعات أخرى مناسبة ، أو دعم المجموعات الحالية بمجموعات جديدة طبقاً لرغبات المستفيدين واحتياجاتهم .

ومع أن هناك عدداً من المصطلحات المتعلقة بـ «المجموعات» مثل إدارة المجموعات (Collection Management) ، وتطوير المجموعات (Collection Development) ، وتقييم المجموعات (Collection Evaluation)، ومراجعة المجموعات (Collection Review) ، واختيار المجموعات (Selection) إلا أن الباحث يرى أن مصطلح «تطوير وتقييم المجموعات» أفضلها وأنسبها حسب أهداف هذا البحث لأنه يضم العمليات الأساسية لقسم المجموعات، والمتمثلة في الاختيار، والمراجعة ، والتقييم .

والحقيقة أن عملية تطوير المجموعات وتقييمها هي عملية صعبة ومعقدة وتحتاج إلى الكثير من الخبرة ، والوقت ، والجهد ، والمال . وأهميتها تكمن في أنها تبرز لنا نواحي القوة والضعف في المجموعات ، وتؤثر تأثيراً مباشراً في الميزانية ، وفي نوعية الخدمات التي تقدمها المكتبة، وتعكس مدى نجاح المكتبة في خدمة جمهورها .

وفي هذا البحث حاول الباحث التعرف إلى الوضع الحالي المتعلق بتطوير ، وتقييم مجموعات مكتبات الجامعات السعودية ، وذلك عن طريق استبانة ، تم توزيعها على سبع جامعات في المملكة العربية السعودية، وبعد وصول الإجابات قام الباحث بسردها ، وتفسيرها في الإطار النظري المحدد للبحث ، وأخيراً قدم بعض الإرشادات والتوصيات المناسبة لإعداد خطة لأقسام تطوير، وتقييم المجموعات في المكتبات الجامعية بالمملكة .

مشكلة البحث

يعاني كثير من المكتبات في عصرنا الحاضر من قلة الموارد المالية من ناحية ، وكثرة مصادر المعلومات ، وارتفاع في التكاليف والنفقات من ناحية أخرى مما يضطرها إلى الترشيد في عملية الإنفاق ، والدقة في الاختيار . والمهمة الصعبة أمام المكتبات هي التأكد من أن المجموعات الحالية والمجموعات المستقبلية للمكتبة تناسب وتلبي احتياجات جمهورها ، وتدعم أهداف ، وخطط المؤسسة التي تتبعها المكتبة ، سواء كانت مدرسة ، أو مصنع ، أو جامعة .

والمشكلة القائمة في كثير من المكتبات التي لا يوجد لديها خطط تطويرية لمجموعاتها هي احتمال وجود عدد كبير من المجموعات على الأرفف دون استخدام، وقد تظل على ذلك الحال لسنوات عديدة مع أنها كلفت المكتبة جزءاً من ميزانيتها ، وشغلت حيزاً على الأرفف دون ضرورة ، ومن المؤكد أن هذا الحال غير مقبول في أية مكتبة تنشد التطوير، وتسعى إلى استغلال مواردها المالية وطاقاتها البشرية فيما يخدم المكتبة ، ويلبي احتياجات ورغبات جمهورها . وهناك احتمال آخر يكمن في وجود نقص كبير في مجموعات يحتاج إليها جمهور المكتبة أكثر من غيرها دون أن يتنبه المسئولون عن المكتبة لهذا النقص في الوقت المناسب .

ومن خلال التجربة الشخصية للباحث تبين له أن مجموعات المكتبات الجامعية في المملكة العربية السعودية تعاني من نقص في أجزاء من مجموعاتها خاصة المتعلقة منها بالتخصصات التطبيقية . وفي الدراسة التي أجراها عاشور على مكتبات الجامعات السعودية تبين أن هناك تفاوتاً كبيراً بين حجم المجلدات ، وما تتطلبه معايير جمعية مكتبات الكليات الأمريكية (١) . كما لاحظ الباحث احتجاجاً متزايداً بين بعض الطلاب وأعضاء هيئة التدريس في بعض الجامعات حول قصور مجموعات مكتباتهم عن تلبية ما يحتاجون إليه من مصادر ومعلومات . ومع أن هناك قصوراً في خدمات المكتبات التي يستخدمونها ، إلا أن الباحث يفترض وجود خلل وقصور في السياسات الخاصة بإدارة ، وتطوير ، وتقييم المجموعات ذاتها، وهذا ما حدا به إلى إجراء هذا البحث للتحقق من ذلك الافتراض .

أهداف البحث

الهدف الأساسي من هذا البحث هو التعرف إلى الواقع الحقيقي لعملية تطوير ، وتقييم مجموعات المكتبات الجامعية بالمملكة . وبالتحديد سوف يحاول الباحث الحصول على إجابات للتساؤلات البحثية التالية :

١ - هل يوجد أقسام خاصة وخطط معتمدة لتطوير المجموعات في المكتبات الجامعية بالمملكة وتقييمها ؟

٢ - ما مؤهلات ، وعدد ، موظفي أقسام تطوير وتقييم

المجموعات في جامعات المملكة ؟ وما الوظائف والمهام التي يؤدونها ، ومتى يقومون بتطوير ، وتقييم مجموعات مكتباتهم ؟

٣ - ما الأدوات ، والطرق التي تستخدم في عملية تقييم مجموعات المكتبات الجامعية في المملكة ؟

٤ - ما المشكلات والعوائق التي تواجه مكتبات الجامعات السعودية في عملية تطوير وتقييم مجموعاتها ؟

مجتمع وأداة البحث

يتكون مجتمع البحث من مكتبات الجامعات في المملكة العربية السعودية التابعة لجامعة الملك سعود بالرياض ، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، وجامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران، وجامعة الملك فيصل بالأحساء ، وجامعة الملك عبدالعزيز بجدة ، وجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة . واقتصر الباحث على هذه المكتبات لتجانسها في كثير من الصفات وتقاربها في الأهداف ، ونوعية الجمهور المستخدم لها . إضافة إلى أنها أكثر المكتبات تطوراً في المملكة ، وأكثرها استخداماً .

ومن أجل الحصول على معلومات حول الأسئلة البحثية المحددة لهذا البحث قام الباحث بإعداد استبانة تتكون من عدة أسئلة تتعلق بأقسام تطوير وتقييم المجموعات في مكتبات الجامعات السعودية ، وعدد الموظفين في هذه الأقسام ونوعيتهم والوظائف التي يقومون بأدائها، والأدوات المستخدمة في عملية التقييم ، والمشكلات والعوائق التي تواجههم عند تقييم وتطوير مجموعات مكتباتهم . وبعد التأكد من سلامة الاستبانة ، وصلاحيتها للاستخدام قام الباحث بإرسالها إلى عمداء المكتبات بجامعات المملكة . وبعد وصول كافة الإجابات قام الباحث بتفريغها استعداداً لسرد النتائج وتفسيرها .

الدراسات المنشورة

يزخر أدب المكتبات بالعديد من الدراسات والكتابات حول تطوير وتقييم مجموعات المكتبات الجامعية ، ولكن أغلبها منشور باللغة الإنجليزية . وهناك بعض الدراسات المنشورة باللغة العربية، ولكنها تركز على استخدامات المجموعات من منظور القراء والباحثين .

ومن هذه الدراسات دراسة أجراها الباحث في وقت سابق في جامعة الملك فيصل للتعرف إلى مرئيات أعضاء الهيئة التدريسية بالجامعة حول خدمات المكتبة ، حيث كشفت النتائج عن عدم رضا غالبية أعضاء الهيئة التدريسية عن مجموعات المكتبة لأسباب يأتي في مقدمتها ضعف في المجموعات ونقص في الخدمات (٢) .

وهناك دراسة أخرى أجراها عاشور على مكتبات الجامعات السعودية ، ثم نشرها في شكل كتاب ، حيث قدم تقييمًا شاملاً للمكتبات الجامعية بالمملكة ، وجمع المعلومات المطلوبة بواسطة استبانة ، ثم طبق على المعلومات التي حصل عليها معايير جمعية مكتبات الكليات الأمريكية، ووجد أن هناك عجزًا كبيرًا في المجموعات بلغ (٤٢,٨٠٪) في جامعة أم القرى ، و (٥٠,٣٦٪) في الجامعة الإسلامية ، و (٨٨,٢٢٪) في جامعة الإمام، و(٧٩,٠٨٪) في جامعة الملك فيصل ، و(٥٨,٦٣٪) في جامعة الملك عبدالعزيز ، و(٦,٢٢٪) في جامعة الملك سعود، و(١٨,٠٠٪) في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن (٣) .

وفي دراسة أجرتها سوزان نيفن (Susanne Neivin) على مجموعات مكتبة كلية أدولفس لتحديد نوعية، وشمولية المجموعات ، ومعرفة مدى رضا المستفيدين من المكتبة ، وجدت الباحثة أن عدم رضا المستفيدين كان مرده المشكلات المتعلقة بالحصول على المجموعات وطرق تنظيمها على الأرفف (٤) .

أما الدراسة التي أجراها ديفيد كاربنتر (David Carpenter) لتقييم مجموعات مكتبة فندربلت باستخدام القوائم المعيارية، وقوائم بعض المكتبات الجامعية الأخرى، فقد أظهرت أن هناك أخطاء في عملية تطوير مجموعات المكتبات ، وتبين أن المكتبة لم تزود ببعض الكتب المتوقع استخدامها (٥) .

وفي دراسة أخرى قام فيليكس (Felix) بدراسة العلاقة التي تربط بين موظفي المكتبة وأعضاء هيئة التدريس بخصوص تطوير المجموعات ، ووجد أن العلاقة كانت قائمة فيما يتعلق بإجراءات تطوير المجموعات ، وأن الدعم المالي للمجموعات كان يتأثر بعوامل منها متطلبات البرامج الدراسية ، والميزانية ، وتقييم المجموعات ، والضغوط الخارجية على المكتبة والجامعة (٦) .

وبالنسبة للطرق التي يستخدمها أعضاء هيئة التدريس أكثر من غيرها في البحث عن المعلومات وجد نويكي (Nweke) أنهم يستخدمون طرقًا خاصة مثل السجلات الخاصة بهم ، والنقاش مع زملائهم ، والاطلاع السطحي على المنشورات ، كما وجد أن العائق الأساسي في عملية البحث عن المعلومات في المكتبة يتمثل في قلة عدد مصادر المعلومات المناسبة (٧) .

كما قام كل من إدوارد (Edward) وبراون (Brown) بإجراء دراسة لتحديد ما إذا كان هناك فارق بين توقعات أعضاء هيئة التدريس حول الخدمات المقدمة لهم وتصورات موظفي المكتبة حول هذه التوقعات . وأوضحت النتائج أن هناك تطابقًا بين التوقعات ولكن هناك اختلاف في بعض جوانب الخدمة المطلوبة مثل الدقة ، والسرعة ، والكفاءة، والطاقة ، والمصداقية عند تقديم الخدمة (٨) .

وفي دراسة أخرى مشابهة وجد ميلسون (Millson) ومينور (Menor) أن هناك فوارق بين توقعات مستخدمي المكتبة وتصورات الإدارة حول هذه التوقعات ، وبين معايير الخدمة الجيدة ، ومرئيات الإدارة حول توقعات المستفيدين ، وبين تسليم الخدمة ومعايير الخدمة ووسائل الاتصال ، واقترحا تطوير وسائل الاتصال بين المكتبة والمستفيدين ، وتطوير الأسلوب الإداري المتبع في المكتبة ، وتطوير المجموعات من أجل التقريب بين هذه الفوارق (٩) .

وأخيرًا قامت كل من سيلفيا (Sylvia) وليشر (Lesher) باستخدام طريقة الاستشهادات المرجعية (Citations)، وإحصاءات الأرفف (Shelving countrs)، ونموذج تكلفة الاستخدام (Cost - Per - use Fermula) لتقييم استخدامات طلاب الدراسات العليا للدوريات في تخصص علم النفس ، وأوضحت النتائج فاعلية هذه الطرق في عملية التقييم ، وتوقع الباحثتان أن تكون دراستهما نموذجًا صالحًا للتطبيق على بقية الدوريات الأخرى (١٠) .

مما سبق نستنتج أن أغلب الدراسات المنشورة حول مجموعات المكتبات الجامعية تركز على مشكلة استخدام المكتبة من لدن القراء والباحثين على مختلف أنواعهم ، وتعطي اهتمامًا لأعضاء هيئة التدريس ، ربما لأنهم أكثر الرواد صلة بالمكتبة وأكثر جدية من غيرهم في الاستفادة من خدماتها . كما أن الغالب من هذه الدراسات يستخدم أسلوب استطلاعات الرأي في عملية تقييم خدمات ومجموعات المكتبات في حين أن هناك أساليب وأدوات أخرى لا تقل أهمية عن استطلاعات الرأي .

سرد النتائج

يتضح لنا من النموذج رقم (١) أنه لا يوجد قسم خاص بتطوير ، وتقييم مجموعات المكتبات في الجامعات السعودية إلا في جامعتين فقط بنسبة (٢٨,٥٧٪) هما جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وجامعة الملك فهد للبترول والمعادن . وعندما ننظر إلى النموذج رقم (٢) المتضمن مؤهلات، وعدد موظفي قسم تطوير وتقييم المجموعات في الجامعتين المذكورتين سابقًا نجد أن جامعة الإمام لا يوجد بها إلا اثنين من الموظفين بدرجة دبلوم بينما تنفرد جامعة الملك فهد للبترول والمعادن بنوعية مؤهلة وعدد جيد من الموظفين ، أحدهم لديه شهادة الدكتوراه ، والثاني لديه شهادة دبلوم ، والثالث لديه شهادة دورة ، بينما بقية الموظفين لديهم شهادات الماجستير . أما بقية الجامعات فلم يرد لها إجابات ، وذلك لعدم وجود أقسام لديها لتطوير المجموعات طبقًا لما ورد في النموذج رقم (١) .

الجامعة	نعم	لا
جامعة الملك سعود		×
جامعة الملك عبدالعزيز		×
جامعة الإمام محمد بن سعود	×	
جامعة الملك فيصل		×
جامعة الملك فهد للبترول والمعادن	×	
الجامعة الإسلامية		×
جامعة أم القرى		×
المجموع	٢=٢٨,٥٧٪	٥=٧١,٤٣٪

وجود قسم خاص بتطوير المجموعات وتقييمها

النموذج رقم (١)

المؤهلات	جامعة الملك سعود	جامعة الملك عبدالعزيز	جامعة الإمام محمد بن سعود	جامعة الملك فيصل	جامعة الملك فهد	الجامعة الإسلامية	جامعة أم القرى
دكتوراه	–	–	–	–	١	–	–
ماجستير	–	–	–	–	٥	–	–
بكالوريوس	–	–	–	–	١	–	–
دبلوم	–	–	٢	–	–	–	–
مؤهل آخر	–	–	–	–	١	–	–
المجموع	–	–	٢	–	٨	–	–

مؤهلات ، وعدد الموظفين – النموذج رقم (٢)

وفي النموذج رقم (٣) المتعلق بما إذا كان لدى مكتبات الجامعات السعودية خطط لقسم المجموعات يتضح أن جامعتين فقط بنسبة (٧٥, ٢٨٪) من مجموع الجامعات السبع لديهما خطط هما جامعة الملك سعود ، وجامعة الملك فهد للبترول والمعادن . وعندما ننظر إلى النموذج رقم (٤) يتبين لنا أن أسباب عدم وجود خطط في هذه الجامعات تعود إلى عدم وجود من يقوم بإعداد هذه الخطط في أربع جامعات بنسبة (٨٠٪) ، وعدم وجود وقت كافٍ لإعداد الخطة في جامعة واحدة بنسبة (٢٠٪) ، أما الأسباب الأخرى المشار إليها في النموذج فتتمثل في عدم توافر الاعتمادات المالية، أو وجود ميزانية خاصة بالتزويد وتطوير المجموعات، وعدم وجود قسم خاص بتطوير المجموعات . ويلاحظ في النموذج عدم ورود جامعة الملك سعود وجامعة الملك فهد وذلك لوجود خطة عمل لديهما .

الجامعة	نعم	لا
جامعة الملك سعود	✓	
جامعة الملك عبدالعزيز		✓
جامعة الإمام محمد بن سعود		✓
جامعة الملك فيصل		✓
جامعة الملك فهد للبترول والمعادن	✓	
الجامعة الاسلامية		✓
جامعة أم القرى		✓
المجموع	٢=٢٨,٥٧٪	٥=٧١,٤٣٪

خطة لقسم المجموعات
النموذج رقم (٣)

الأسباب	جامعة الملك عبدالعزيز	جامعة الإمام محمد بن سعود	جامعة الملك فيصل	الجامعة الإسلامية	جامعة أم القرى	مجموع الإجابات
ليست ضرورية						–
لا يوجد من يقوم بإعدادها		✓	✓	✓	✓	٤=٨٠٪
لا يوجد وقت كافٍ لإعدادها			✓			١=٢٠٪
أسباب أخرى	✓	✓				٢=٤٠٪

أسباب عدم وجود خطة لقسم المجموعات
النموذج رقم (٤)

وفي النموذج رقم (٥) نجد أن ثلاث جامعات يتوافر فيها جميع وظائف قسم تطوير وتقييم المجموعات المشار إليها في النموذج، بينما لا تؤدي في الجامعات الأربع الباقية إلا ثلاث وظائف هي الاختيار، والتزويد، والإهداء والتبادل، أي بنسبة (٤٢,٨٥٪) .

وظائف قسم المجموعات	جامعة الملك سعود	جامعة الملك عبدالعزيز	جامعة الإمام محمد بن سعود	جامعة الملك فيصل	جامعة الملك فهـــد	الجامعة الإسلامية	جامعة أم القرى
الاختيار	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓
التزويد	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓
الإهداء والتبادل	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓
فحص مجموعات المكتبة وتقييمها	✓	✓			✓		
مراجعة مجموعات المكتبة (صيانة)	✓	✓			✓		
وظائف أخرى					✓		
المجموع	٥ =١٠٠٪	٥ =١٠٠٪	٣ =٤٢,٨٥٪	٣ =٤٢,٨٥٪	٥ =١٠٠٪	٣ =٤٢,٨٥٪	٣ =٤٢,٨٥٪

وظائف قسم المجموعات - النموذج رقم (٥)

وفي النموذج رقم (٦) يتبين لنا أن ست جامعات تقوم بتقييم مجموعاتها متى ما دعت الحاجة إلى ذلك أي بنسبة (٨٥,٧١٪)، أما جامعة الملك فهد للبترول والمعادن فتقوم بتقييم مجموعاتها بشكل دوري ، كما أنها قامت في عام ١٩٨٨م بدراسة خاصة عن استخدام الدوريات ، ودراسة أخرى في عام ١٩٩٣م عن توافر مواد المكتبة ، وتقوم بتقييم الدوريات في كل عام .

الجامعة	سنوياً	عند الحاجة	أوقات أخرى
جامعة الملك سعود		✓	
جامعة الملك عبدالعزيز		✓	
جامعة الإمام محمد بن سعود		✓	
جامعة الملك فيصل		✓	
جامعة الملك فهد للبترول والمعادن			✓
الجامعة الإسلامية		✓	
جامعة أم القرى		✓	
المجموع		٦=٨٥,٧١٪	١=١٤,٢٨٪

أوقات تقييم المجموعات -- النموذج رقم (٦)

وفي النموذج رقم (٧) نرى أن جميع الجامعات تستخدم القوائم الببليوجرافية، وفهارس المكتبات في عملية تقييم مجموعاتها . وثلاث جامعات بنسبة (٤٢,٨٥٪) تستخدم القوائم الإحصائية، وجامعتان بنسبة (٢٨,٥٧٪) تستخدمان استطلاعات الرأي، وجامعتان بنسبة (٢٨,٥٧٪) تستخدمان معايير المكتبات، وجامعتان تستخدمان أدوات أخرى هما جامعة الملك سعود وجامعة الملك فهد للبترول والمعادن . ومن الأدوات الأخرى التي تستخدمها جامعة الملك فهد فهارس الناشرين، وكتب المراجعات، وقوائم موزعي وموردي الكتب، ومصادر

الأقراص المدمجة (CD - Rom Sources)، والقوائم البيليوجرافية المستخلصة من النظام الآلي (DOBIS) المعمول به في المكتبة . أما جامعة الملك سعود فتستخدم أداة إضافية أخرى في عملية التقييم هي أدلة المقررات الدراسية بالجامعة.

أدوات تقييم المجموعات	جامعة الملك سعود	جامعة الملك عبدالعزيز	جامعة الإمام	جامعة الملك فيصل	جامعة الملك فهــــد	الجامعة الإسلامية	جامعة أم القرى	المجموع
القوائم الببليوجرافية	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	٧ =١٠٠٪
فهارس المكتبات	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	٧ =١٠٠٪
القوائم الإحصائية	✓	✓			✓			٣ =٤٢,٨٥٪
استطلاعات الرأي			✓		✓			٢ =٢٨,٥٧٪
معايير المكتبات		✓			✓			٢ =٢٨,٥٧٪
أدوات ووسائل أخرى	✓				✓			٢ =٢٨,٥٧٪

أدوات تقييم المجموعات - **النموذج رقم (٧)**

وفي النموذج رقم (٨) تتضح لنا المشكلات والعوائق التي تواجه مكتبات الجامعات السعودية عند القيام بتقييم مجموعاتها، حيث تبين أن عدم وجود الدعم المالي اللازم هو المشكلة الوحيدة التي تشترك فيها جميع الجامعات ، يلي ذلك مشكلة عدم وجود عدد كافٍ من الموظفين أي بنسبة (٨٥,٧١٪) ، ولم ترد أية إجابات للمشكلات الأخرى .

مشكلات تقييم المجموعات	جامعة الملك سعود	جامعة الملك عبدالعزيز	جامعة الإمام	جامعة الملك فيصل	جامعة الملك فهــــد	الجامعة الإسلامية	جامعة أم القرى	المجموع
عدم وجود موظفين من ذوي الخبرة في المجال								
عدم وجود عدد كافٍ من الموظفين	✓	✓	✓	✓		✓	✓	٦ =٨٥,٧١٪
عدم وجود الدعم المالي اللازم	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	٧ =١٠٠٪
عدم وجود عدد كافٍ من وسائل وأدوات التقييم								
مشكلات أخرى								

مشكلات وعوائق تقييم المجموعات - **النموذج رقم (٨)**

تفسير النتائج

لو نظرنا مرة أخرى إلى الإجابات الواردة في النماذج السابقة لحصلنا على مجموعة من الحقائق بعضها متجانس وبعضها الآخر متنافر . فبالنسبة لأقسام تطوير وتقييم المجموعات نجد أن جامعة الإمام لديها قسم خاص ولكن بدون خطة ، بينما لا يوجد في جامعة الملك سعود قسم ولكن يوجد لديها خطة . والتفسير المقبول للوضع في جامعة الإمام هو أنه يمكن أن يعمل القسم بدون خطة ، فهناك أحيانًا بعض الأقسام تمارس أعمالها وتؤدي مهامها دون خطط مكتوبة ، ومع أن هذا الوضع مخالف لما هو مطلوب إلا أنه واقع يعايشه ويتعامل معه كثير من المكتبات. أما الوضع في جامعة الملك سعود ففيه نوع من الغموض فإذا كان لديهم خطة عمل مكتوبة ، وليس لديهم قسم فأغلب الظن أن هذه الخطة هي خطة عامة للمكتبة ، وأن وظائف قسم تطوير ، وتقييم المجموعات تؤدى في أقسام أخرى مثل التزويد . وهذا أيضًا وضع خاطئ يستوجب الإصلاح ، فعملية تطوير ، وتقييم المجموعات عملية مهمة، ومجهدة ، ومعقدة ولذلك تحتاج إلى قسم مستقل، وموظفين مؤهلين ، ومدربين .

ويمكن أن نستنتج من الإجابات المتعلقة بالموظفين في قسم تطوير ، وتقييم المجموعات في جامعة الإمام أن القسم لا يمكن أن يؤدي مهامه بفاعلية ، وكفاءة عن طريق اثنين فقط من حملة الدبلومات ، بل إن هذا الوضع يثير أسئلة متعددة حول جدوى وجود قسم كهذا بدون خطة عمل ، ودون عدد كافٍ من الموظفين المؤهلين . ويمكن أن تتضح لنا الفوارق في مستوى الأداء والإنتاجية ، إذا فكرنا في وضع جامعة الإمام مع الوضع في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن التي تميزت عن غيرها من الجامعات الأخرى بوجود قسم مستقل يقوم عليه عدد كافٍ من الموظفين المؤهلين . أما الحال بالنسبة للجامعات الأخرى فقد يكون أسوأ من حال جامعة الإمام خاصة مع غياب أقسام مستقلة لتطوير المجموعات وتقييمها ، وافتقار هذه الأقسام إلى خطط مكتوبة وأعداد كافية من الموظفين .

ومن الملاحظ أيضًا أن عدم وجود قسم مستقل للمجموعات ، وعدم وجود خطة عمل لهذا القسم لم يعوق مكتبات الجامعات السعودية عن أداء بعض وظائف ، هذا القسم، ويبدو أن هناك اقتناعًا تامًا بأهمية وجود قسم للمجموعات ، وضرورة وجود خطة عمل له ، وهذا ما تكشفه لنا النتائج في النموذج رقم (٣) حيث لم تذكر أية جامعة بأن سبب عدم وجود خطة عمل لديها يعود إلى كونها غير ضرورية .

وبالرجوع مرة أخرى إلى الوظائف المتوقع تنفيذها في قسم تطوير ، وتقييم المجموعات نجد أن جميع الجامعات تقوم بأداء ما لا يقل عن ثلاث وظائف ، وعلمًا بأن خمس جامعات أجابت بعدم وجود قسم خاص لتطوير، وتقييم مجموعات المكتبات لديها . ويمكن تفسير هذا الوضع بأن وظائف قسم تطوير ، وتقييم المجموعات ، كما أسلفنا سابقًا ، تؤدى في أقسام أخرى مثل قسم التزويد ، ولكن المشكلة المتوقعة أن هذه الوظائف قد لا تحظى بالاهتمام المطلوب أو الدعم اللازم عندما تدمج مع وظائف ، ومهام أقسام أخرى ، فقد يؤدي هذا الدمج غير المرغوب فيه إلى التأثير سلبًا على مستوى وفاعلية مجموعات المكتبة .

وبالنسبة لأوقات تقييم المجموعات يتبين لنا أن جميع الجامعات السعودية ، ما عدا جامعة الملك فهد ، لا تقوم بعملية التقييم إلا عند الحاجة ، في حين أن المفروض أن يتم التقييم وفق خطة واضحة ، ومحددة ، وبشكل دوري للتأكد من أن المجموعات تؤدي دورها المطلوب تجاه المستفيدين من المكتبة . وأما تفادي التقييم إلى أن تمليه الحاجة فهو إجراء غير سليم ، فقد تكون الحاجة لدى البعض مبررًا لتأخير التقييم عن الوقت المناسب ، وبذلك يفوت على المكتبة إصلاح أي وضع خاطئ في حينه ، وقد لا تظهر الحاجة بوضوح تام إلا بعد سنوات عديدة بعد أن تتراكم المشكلات ، ويتدنى مستوى الأداء والخدمة مما يجعل التقييم بعد ذلك عملية شاقة ومكلفة .

ومن الأمور اللافتة للانتباه في الإجابات الواردة في النموذج رقم (٧) أن جامعتين فقط تستخدمان استطلاعات الرأي ومعايير المكتبات في عملية تقييم مجموعاتها، ربما

لأن إجراء الدراسات الاستطلاعية من وقت لآخر يحتاج إلى وقت وجهد لا يتوفران بسهولة لكل مكتبة . ولكن يجب أن لا يكون هذا عذرًا لتفادي التعرف بشكل منهجي صحيح على آراء ومقترحات المستفيدين من المكتبة ، فلم توجد المكتبة أصلاً إلا لخدمتهم ، وتلبية رغباتهم ، واحتياجاتهم . وأما بالنسبة لمعايير المكتبات فعدم استخدامها بشكل موسع في مكتبات الجامعات السعودية قد يعود إلى صعوبة في تطبيق هذه المعايير ، أو لعدم اقتناع بها ، خاصة إذا أخذنا في الحسبان تركيزها الرئيس على الجانب الكمي (العدد) وليس الجانب النوعي (المحتوى) للمجموعات .

والأمر الآخر اللافت للانتباه في النموذج رقم (٧) هو أن كافة الجامعات السعودية تستخدم القوائم الببليوجرافية وفهارس المكتبات في عملية التقييم ، والتفسير المقبول لهذا الإجماع يمكن أن يعود إلى سهولة الحصول على هذه القوائم ، والفهارس ، وسهولة استخدامها ، وتطبيقها ، إضافة إلى أن وظائف قسم تطوير المجموعات وتقييمها في النسبة الغالبة من مكتبات الجامعات السعودية تؤدى من خلال قسم التزويد الذي يعدّ المكان المناسب لوجود هذه القوائم والفهارس .

وأخيرًا تظهر لنا في النموذج رقم (٨) المشكلات التي تعوق تطوير المجموعات وتقييمها ، فقد أجمعت كل الجامعات السعودية على أن العامل المادي هو المشكلة الرئيسة ، وهذه حقيقة يثبتها الواقع . فالجامعات السعودية بشكل عام ، والمكتبات بشكل خاص ، تمر بمرحلة عصيبة من التقشف ، وترشيد الإنفاق الأمر الذي ترتب عليه تقليص بعض الخدمات وخفض المشتريات من الكتب والمستلزمات الأخرى ، وإلغاء الاشتراكات في عدد كبير من الدوريات العلمية . وفي كتاب الدكتور عاشور [11] ما يشير إلى هذه الحقائق .

والمشكلة الأخرى الملازمة لعدم وجود الدعم المالي اللازم هي مشكلة عدم وجود عدد كاف من الموظفين . فالموظفون هم العامل الأساسي وراء نجاح أي عمل أو خدمة حتى لو توافرت الأموال اللازمة ، فقد يكونون عنصرًا إيجابيًا في استثمار ما يخصص لهم من موارد مالية لصالح المكتبات والمستفيدين منها، وقد يكونون سببًا في إهدار الأموال وتبديد الجهود .

والأمر الغريب أن عدم وجود موظفين من ذوي الخبرة لم يظهر كمشكلة في كافة مكتبات الجامعات السعودية علمًا بأن هناك نقصًا ملحوظًا في عدد أصحاب المؤهلات العالية ، وليس أدل على ذلك من الوضع في جامعة الإمام التي لا يعمل بقسم تطوير المجموعات وتقييمها بها سوى اثنين من حملة الدبلومات ، طبقًا للإجابات الواردة في النموذج رقم (٢) .

من التحليلات والتفسيرات السابقة استطاع الباحث أن يستخلص ما يلي :

١ - أن فكرة إنشاء قسم مستقل لتطوير المجموعات وتقييمها في أغلب مكتبات الجامعات السعودية لم تحظ باهتمام كبير بالرغم من أن معظم المسئولين عن عمادات شئون المكتبات من المتخصصين في مجال المكتبات والمعلومات ويعلمون مدى أهمية وجدوى أقسام مستقلة لتطوير المجموعات وتقييمها .

٢ - أن إعداد خطة لتطوير المجموعات وتقييمها يبدو عملاً ضروريًا لكافة المكتبات ولكنه لم يتجسد إلى حيز الواقع حتى الآن إلا في جامعة واحدة فقد مما يدل على أن الوظائف الخاصة بتطوير المجموعات وتقييمها لاتزال تمارس في الجامعات الأخرى بطريقة غير منظمة وبشكل ارتجالي بعيدًا عن مقاييس الأداء الصحيحة .

٣ - أن عدم انتظام عملية التقييم بشكل دوري ومنظم قد يؤدي إلى مزيد من الخلل والقصور في المجموعات خاصة إذا أخذنا في الحسبان العجز الكبير الذي تعاني منه مكتبات الجامعات السعودية حسب معايير جمعية مكتبات الكليات الأمريكية .

٤ - أن هناك قصورًا وخللاً في السياسات الخاصة بإدارة، وتطوير ، وتقييم مجموعات المكتبات الجامعية في السعودية ، فالنسبة الغالبة من المكتبات لا يوجد بها أقسام مستقلة للمجموعات ، أو خطط مكتوبة ، أو

عدد كاف من الموظفين المؤهلين لإدارة ، وتطوير ، وتقييم المجموعات .

وبناء على ذلك تبرز الحاجة إلى ثلاثة مطالب أساسية هي :

١ – إنشاء أقسام مستقلة للمجموعات .

٢ – إعداد خطط مفصلة ومكتوبة للأقسام .

٣ – إجراء تقييم للمجموعات الحالية باستخدام بعض أدوات التقييم المناسبة .

أما بالنسبة للمطلبين الأولين فهما متلازمين ، حيث لا يمكن إعداد خطة إلا لقسم موجود ، ومن غير الأسلم إيجاد قسم بدون خطة . ومادامت الخطة هي الهوية الحقيقية للقسم التي بموجبها تتحدد أهدافه ، ووظائفه ، فلابد من إعطاء بعض التفصيلات عن هذه الخطة فيما يتعلق بالفوائد المرجوة منها ، ومحتوياتها ، وبعض الإرشادات والتوصيات المتعلقة بها . أما موضوع «تقييم المجموعات» فهو موضوع واسع ، ولا يتسع له المجال في هذه الدراسة المحدودة ، ويحتاج إلى دراسة منفردة .

فوائد خطة تطوير المجموعات وتقييمها

لا شك أن وجود خطة مكتوبة لقسم المجموعات هو أمر مهم لكل مكتبة تطمح إلى استثمار مجموعاتها وخدماتها لصالح المستفيدين منها . وهناك فوائد كثيرة للخطة يمكن أن نوجز أهمها فيما يلي :

١ – تساعد المسئولين عن المكتبات والمسئولين عن الجامعات وكذلك عامة المستفيدين على التعرف إلى نوعية المجموعات ومدى شموليتها ، ونواحي القصور والضعف فيها .

٢ – تساعد على دعم موقف المكتبة أثناء إعداد الميزانية ، إما لشراء كتب جديدة ، أو الاشتراك في أعداد إضافية من الدوريات ، حيث إن المخصصات المالية للمجموعات تأتي في المرتبة الثانية بعد رواتب الموظفين من حيث الحجم والأهمية .

٣ – تساعد المسئولين عن التزويد على حسن اختيار المجموعات الجديدة من الكتب والدوريات طبقًا لأهداف المكتبة ورغبات المستفيدين ، وفي ضوء الميزانية المتاحة .

٤ – تساعد على بناء مجموعات متوازنة ودقيقة أثناء الاشتراك في برامج تعاونية بين عدد من المكتبات .

٥ – يمكن استخدامها كدليل إرشادي لتحديد أماكن وجود المجموعات في المكتبات خاصة في حالة عدم وجود أدوات بيليوجرافية شاملة ودقيقة مثل الفهارس الموحدة .

٦ – يمكن عن طريقها تحديد الأولويات في المكتبة وبالتالي تسهل عملية الترشيد في الإنفاق .

٧ – تساعد على توثيق العلاقة بين المكتبة والمستفيدين .

٨ – تساعد على اتخاذ القرار بشكل سريع ودقيق عند استبعاد بعض المجموعات ، وإحلال مجموعات أخرى محلها .

٩ – تساعد على إيجاد نوع من التوازن في عمليات التزويد بحيث لا يستأثر تخصص من التخصصات بزيادة في مجموعاته على حساب تخصصات أخرى دون مبررات مقبولة .

١٠– تساعد في عملية تدريب الموظفين أو اختيار موظفين جدد، وذلك بعرض الإجراءات والمهام الخاصة بالوظيفة المطلوبة .

١١– تعد مصدر معلومات أساسي أثناء تقييم المجموعات، بل إنها المحور الأساسي الذي ترتكز عليه عملية التقييم ، ولا يمكن الحصول على تقييم شامل ودقيق إلا بوجود خطة مكتبة يقاس على ضوئها مدى نجاح المكتبة في أداء وظائفها ومهامها .

محتويات الخطة

من المتوقع أن تختلف محتويات أية خطة للمجموعات من مكتبة إلى أخرى نظرًا لاختلاف أنواع المكتبات ، وتباين أهدافها . ومع أن الباحثين قد يختلفون حول هذه المحتويات إلا أن الباحث يرى أن هناك محتويات أساسية تشترك فيها المكتبات ، ولكنها تخضع أخيرًا لمرئيات المكلفين بإعدادها ، ونوعية التفصيلات المطلوبة فيها . ولهذا يرى أنه من الأفضل تحديد الإطار العام للخطة مسبقًا ، وإعداد قائمة مؤقتة بالمحتويات قبل البدء في جمع المعلومات لكي يتمكن القائمون على الخطة من تحديد مسار

عملهم على ضوء هذه القائمة ، مع الأخذ في الحسبان أية تغييرات ، أو تطورات قد تحدث أثناء إعداد الخطة .

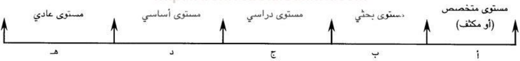
ومن المفترض أن تتضمن الخطة مقدمة مفصلة تحوي أهداف الجامعة ، وأهداف المكتبة ، وأهداف قسم المجموعات مع تحديد العلاقة التي تربط بين هذه الأهداف. كما يجب أن تحتوي المقدمة على معلومات تفصيلية عن نوعية واحتياجات جمهور المكتبة ، ونوع وعدد البرامج الدراسية التي تقدمها الجامعة ، والأشخاص المسئولين عن تطوير المجموعات ، والصلاحيات الممنوحة لهم ، وحجم المجموعات الحالية ، وأنواعها ، ومستوى التغطية فيها، ونوع اللغات المكتوبة بها، ونوع البرامج التعاونية التي تشارك فيها المكتبة، إن وجد . كما يفضل ذكر أية خطط أو لوائح لها علاقة بعمليات الإهداء ، والتبادل ، والحجز ، والاستبعاد ، والمواد البديلة ، والنسخ المكررة ، والمجموعات الخاصة مثل المواد السمعية والبصرية ، والمخطوطات ، والخرائط ، ... إلخ ، وعند وجود خطط مستقلة فقد تحتاج إلى تطوير وتعديل مما يتطلب الإشارة إلى ذلك في الخطة العامة للمجموعات . كما يجب أن تقتصر المقدمة على الشروحات والتفسيرات الخاصة بالخطة دون الإجراءات التنفيذية، بما في ذلك أدوات التقييم.

وفي حالة وجود خطط مستقلة فيجب أن تحتوي كل خطة على أهداف خاصة بها مع وجود تحديد للمواصفات الخاصة بالمجموعات مثل اللغة المكتوبة بها ، والتغطية الزمنية والمكانية ، وأماكن النشر ، ونوعية المجموعات ، ومستوى التغطية لكل مجموعة .

كما يجب أن يكون هناك نظام منطقي لتحديد الموضوعات التي تمثلها المجموعات .

ويمكن استخدام إحدى خطط التصنيف المعمول بها في المكتبات مثل تصنيف مكتبة الكونجرس ، أو تصنيف ديوي العشري للحصول على قائمة مفصلة بهذه الموضوعات التي سوف تستخدم لتحديد كمية المجموعات التي تمتلكها المكتبة في كل موضوع .

كما يجب أن يكون هناك مقياس لتحديد مستويات التغطية في المجموعات مع شرح كيفية استخدامه وتطبيقه. ومن المعتاد أن تتدرج هذه المستويات من «مستوى عادي (واط) إلى مستوى متخصص (مكثف)» مثلما هو معمول به في مقياس (Concepctus) الذي تستخدمه مجموعة المكتبات البحثية في الولايات المتحدة الأمريكية لقييم مجموعاتها ويمكن تمثيل هذا التدرج على المقياس التالي :



فالمستوى المتخصص يؤهل المكتبة بأن تكون مرجعاً أساسياً لأهم وأفضل المجموعات في موضوع معين ، وبذلك تكون التغطية في هذا الموضوع شاملة ، ودقيقة ، سواء كانت بلغة واحدة أو عدة لغات ، أو في شكل واحد من أشكال أوعية المعلومات ، أو عدة أشكال .

أما المستوى البحثي فيتضمن مصادر المعلومات الأساسية التي تخدم بالدرجة الأولى برامج الدراسات العليا أو الدراسات المتخصصة . ويندرج تحت ذلك أهم كتب المراجع ، والمستخلصات ، والكشافات ، ومجموعة شاملة من الدوريات العلمية ، أو أية أعمال متخصصة تخدم الباحثين على وجه الخصوص .

أما المستوى الدراسي فيتضمن مجموعات تخدم بالدرجة الأولى المقررات الدراسية في مراحل البكالوريوس، أو أية برامج دراسية أخرى خارج نطاق برامج الأبحاث المكثفة والمتخصصة .

أما المستوى الأساسي فيتضمن بعض المجموعات المختارة في تخصصات محددة مثل الكتب العامة ، وبعض المجموعات المرجعية مثل الموسوعات ، والقواميس ، والأدلة، والتراجم ... إلخ ، التي تخدم مجموعة عامة ومتنوعة من القراء .

أما المستوى العادي فيتضمن مجموعات عامة أغلبها مواد مرجعية ، وتتصف بأنها أقل من المستوى الأساسي في الحجم والتغطية ، وعادة ما تكون خارج نطاق التغطية المطلوبة في المكتبة .

كما يجب أن تتضمن الخطة معلومات عن إجراءات تقييم المجموعات ، ومن الأفضل تحديد بعض أدوات التقييم المناسبة وشرح طرق استخدامها وتطبيقاتها . ومن المستحسن إرفاق نماذج من هذه الأدوات بالخطة عند الانتهاء منها لتكون جاهزة للتطبيق في الوقت المحدد لعملية التقييم ، أو عند الحاجة ، إلا إذا ظهرت أدوات أخرى أفضل من الأدوات الموجودة .

كما ينبغي أن يرفق بالخطة كشاف موضوعي لكي يسهل عملية الرجوع إلى المحتويات عند اللزوم . وإذا كانت الخطة شاملة ومفصلة فعند ذلك يصبح الكشاف أداة مهمة عند استخدام الخطة ، وجزءًا مكملاً لها .

توصيات خاصة بالخطة

هناك العديد من التوصيات والإرشادات التي تفيد عند إعداد خطة مكتوبة لمجموعات المكتبات يمكن أن نورد بعضها في النقاط التالية :

١ - مادامت الجامعات السعودية تحكمها سياسات وأنظمة موحدة ، وتتشابه إلى حد كبير في الأهداف ، والخدمات ، والبرامج ، فمن الأفضل أن تكون خطة تطوير المجموعات وتقييمها قابلة للتطبيق على المكتبات الجامعية في السعودية دعمًا لسبل التعاون ، وتوفيراً للوقت والجهد . ولتحقيق هذا الهدف يمكن للمسئولين عن المكتبات تشكيل لجنة مشتركة لإعداد خطة موحدة لجميع المكتبات مع إعطاء كل مكتبة الحق في إلغاء ، أو تعديل ، أو إضافة ما تراه ضرورياً إلى محتويات الخطة حسب أهدافها ، وبرامجها، وخدماتها .

٢ - التنسيق والاستشارة عاملان أساسيان لإنجاح الخطة فلابد من استغلالهما ما أمكن قبل وأثناء إعداد الخطة، وبعد الانتهاء منها . ويمكن تعيين مستشارين للرجوع إليهم وقت الحاجة ، فقد تبرز الحاجة إلى خبراتهم في مجال طرق البحث والإحصاء ، أو المساعدة في إعداد التفصيلات المطلوبة للخطة ، أو المشاركة الفعلية في بعض الجلسات والاجتماعات ، أو تقديم الحلول والبدائل عند وجود عوائق تعترض مسيرة الخطة .

٣ - لابد أن تكون الخطة واضحة، ودقيقة في إجراءاتها، ولوائحها، وتطبيقاتها ، وإذا تحقق ذلك فيمكن أن تكون أداة مرجعية جيدة للحصول على إجابات للاستفسارات المتعلقة بإدارة، وتنظيم ، وتقييم المجموعات .

٤ - يجب إشراك أعضاء هيئة التدريس والطلاب في إعداد الخطة فمشاركتهم تعد تحملاً لجزء من المسئولية عنها، وعاملاً مهماً من عوامل نجاحها لأنها تعكس رغباتهم واحتياجاتهم . ويمكن أن تتحقق هذه المشاركة عن طريق المقابلات الشخصية ، أو الاستبيانات، أو بالمشاركة العملية في بعض مراحل الخطة . ولابد أن تكون هناك مراجعة دورية للخطة للتأكد من انطباقها مع رغبات واحتياجات المستفيدين ، وتمشيها مع أهداف المكتبة ، وإمكاناتها المادية المتاحة .

٥ - لابد من إخطار أصحاب الصلاحية في المكتبة وفي إدارة الجامعة عن الخطة قبل البدء في إعدادها لكي تحظى بالاهتمام ، والدعم اللازمين منهم . وهذا الإجراء يمكن أن يعطي مؤشرات عن مدى ونوعية الدعم الذي يمكن أن تحظى به الخطة من المسئولين .

٦ - من الأفضل الاطلاع على الإنتاج الفكري المنشور حول تطوير وتقييم مجموعات المكتبات للاستفادة مما يحويه هذا الإنتاج من دراسات ، وطرق ، وأدوات ، ونتائج ، وتوصيات .

٧ - ضرورة الاتصال بالمكتبات الجامعية الأخرى من أجل الاطلاع على ما لديهم من خطط، وخبرات ، وممارسات سابقة في تطوير ، وتقييم المجموعات ، فقد يكون هذا الاتصال بداية طيبة للتعاون بين المكتبات ، فضلاً عن أنه سيفيد في تجنب تكرار الأخطاء وتفادي السلبيات التي مرت بها المكتبات الأخرى أثناء إعداد خططها .

الخاتمة والتوصيات

حاول الباحث من خلال هذا البحث التعرف إلى واقع تطوير وتقييم مجموعات مكتبات الجامعات السعودية ، وذلك باستخدام استبانة تضم مجموعة من التساؤلات البحثية المتعلقة بأقسام مستقلة لتطوير وتقييم المجموعات ، ومؤهلات وعدد موظفي هذه الأقسام ، والوظائف والمهام التي يؤدونها ، والأدوات التي تستخدم في عملية التقييم ،

وأخيراً المشكلات التي تواجه عملية تقييم المجموعات . وأوضحت النتائج بشكل عام إلى أن هناك قصوراً في عملية تطوير مجموعات مكتبات الجامعات السعودية وتقييمها، وأن هذه العملية تتم في النسبة الغالبة من المكتبات دون خطة محددة وبطريقة غير منظمة .

والحقيقة أن أي تقصير في تطوير وتقييم مجموعات المكتبات يؤدي إلى نتيجة سلبية في نوعية ومستوى الخدمة المكتبية من ناحية ، ونوعية ومستوى التعليم الجامعي من ناحية أخرى ، فمن الصعب أن نحصل على خدمة متجددة ومتطورة ، وتعليم متجدد ومتطور بدون مجموعات متجددة وكافية . وبناء على ذلك يقدم الباحث المقترحات والتوصيات التالية :

١ - من الواجب أن يكون هناك أقسام مستقلة لتطوير مجموعات المكتبات الجامعية بالمملكة تعمل وفق خطة معتمدة ، وليس من الأفضل أن تدمج وظائف قسم مهم مثل قسم تطوير وتقييم المجموعات مع وظائف أقسام أخرى مثل التزويد لما في ذلك من ازدواجية في بعض الأعمال التي قد تتسبب في تعطيل عمل أو تغليب عمل على أعمال أخرى أكثر أهمية خاصة ما يتعلق منها مباشرة بالمجموعات التي تخدم القراء والباحثين بشكل مباشر .

٢ - يجب أن يكون هناك خطة عامة للمكتبة ، وخطط مستقلة لكل قسم يحدد فيها الأهداف، والمهام ، وأسلوب العمل، وعلاقة كل قسم بالآخر ، ومصادر التمويل ، وطرق التقييم والتطوير، أو أية تفصيلات أخرى تتعلق بالقسم. وأهمية وجود خطة لقسم تطوير وتقييم مجموعات المكتبة تكمن في كونها المحور الأساسي الذي يقوم عليه تقييم أعمال القسم ، فلا يمكن إجراء تقييم صحيح إلا بوجود أهداف واضحة وخطة مفصلة .

٣ - يجب الاهتمام بنوعية ومؤهلات موظفي قسم تطوير وتقييم المجموعات . فيمكن أن يشرف على القسم موظف لا يقل مؤهله عن درجة الماجستير في تخصص المكتبات والمعلومات مع خبرة في مجال إدارة المجموعات، ويعاونه في أداء عمله مجموعة من الموظفين المؤهلين . فالقسم يؤدي أعمال متعددة ومهمة، وتتطلب إجراء دراسات بحثية وتطبيقات إحصائية . ويمكن للجامعات التنسيق فيما بينها لاستعارة الموظفين المؤهلين لفترات زمنية محدودة بغرض تبادل الخبرات وتطوير الخدمات خاصة في الجامعات التي ينقصها العدد الكافي من المؤهلين في مجال المكتبات والمعلومات.

٤ - لابد من إعطاء أهمية خاصة لآراء ومقترحات المستفيدين من المكتبة للتعرف إلى مرئياتهم حول المجموعات والخدمات التي تقدم لهم . ويمكن إجراء استطلاعات الرأي من وقت إلى آخر عن طريق قسم تطوير وتقييم المجموعات ، وإذا تعذر على القسم اجراء هذه الاستطلاعات لضيق في الوقت أو عدم وجود من يقوم بها فيمكن التنسيق مع الأقسام الأكاديمية ، أو مراكز الأبحاث في كل جامعة من أجل إجراء هذه الدراسات نيابة عن المكتبة .

٥ - مع وجود عجز كبير في مجموعات المكتبات يصبح إعداد مشروع تعاوني بين المكتبات لتبادل المعلومات والاشتراك في المجموعات أمراً لا غنى عنه . لذلك يجب أن يكون هناك مبادرة جادة من كل الجامعات لإنشاء هذا المشروع ودعمه وإظهاره إلى حيز الواقع والتطبيق . كما يجب البحث عن مصادر مالية مناسبة لتغطية العجز في ميزانية المكتبات، ويمكن فتح باب الهبات والتبرعات من الموسرين ورجال الأعمال لدعم برامج المكتبات وفي مقدمتها تطوير المجموعات .

٦ - يجب على المكتبات أن تتبنى مراجعة وتقييم مجموعاتها بشكل دوري ومنظم مع الاستفادة من كافة وسائل وأدوات التقييم المناسبة ، ومن أمثلة هذه الوسائل والأدوات القوائم الببليوجرافية ، وفهارس المكتبات ، والقوائم الإحصائية ، وقوائم الناشرين والموزعين ، واستطلاعات الرأي ، ومعايير المكتبات . ولهذه الأدوات مزايا وعيوب ولكن من الأفضل الجمع بين أداتين أو أكثر للتقليل من عيوبها وضمان فاعليتها أثناء عملية التقييم . ومن الواجب تبادل الخبرات بين المكتبات في مجال تطوير وتقييم المجموعات خاصة ما يتعلق منها بأدوات التقييم ، فليس من السهل إعداد أدوات جديدة لأن ذلك يتطلب

جهدًا ووقتًا لإعدادها وتجريبها للتأكد من صلاحيتها وخلوها من العيوب قبل استخدامها . وما دام هذا البحث يركز على مجموعات المكتبة من الكتب والدوريات فمن الأفضل أن تتم عملية التقييم للدوريات كل سنة مرة واحدة لأنها أكثر أوعية المعلومات تقلبًا وتغييرًا في إصداراتها ، ومحتوياتها ، وتكاليف نشرها، ورسوم الاشتراك فيها ، اضافة إلى أنها الأكثر استخدامًا بالنسبة لأعضاء هيئة التدريس في الجامعات ، وتشكل عبئًا ماديًا كبيرًا على ميزانية المكتبة . أما مجموعات الكتب فهي أقل تكلفة وأكثر استقرارًا وثباتًا من الدوريات ، ولهذا يمكن إجراء تقييم شامل لها كل ثلاث سنوات مع الأخذ في الحسبان أية تغييرات أو تعديلات في أهداف وخطط المكتبة، وهذا لا يمنع أن يكون هناك تقييم لأجزاء من مجموعات المكتبة متى دعت الضرورة إلى ذلك ، بما فيها المجموعات غير المطبوعة .

المراجع والحواشي

١ – عاشور ، محمد صالح . المكتبات الجامعية بالمملكة العربية السعودية : حاضرها ومستقبلها ، الرياض : دار المريخ للنشر، ١٤١٢هـ . ص١٧٥ .

٢ – الغامدي ، فالح «استخدام أعضاء الهيئة التدريسية بجامعة الملك فيصل لمكتبة الجامعة : دراسة استطلاعية» ، المجلة العربية للمعلومات ، مج١٤، ع٢، ١٩٩٣ ، ص٧٠ .

٣ – عاشور ، محمد صالح، ص١٧٤.

4 - Nevin, Susnne, “Evaluating the children’s literature collection : A college experience” library Management, v. 19 (1/2) 1994. p.127 .

5 - Carpenter, David and Molcolm Gety, “Evaluation of library resources in the feild of economics: A case study”, Collection Management, v. 20 (1/2), 1995, p.82.

6 - Chu, Felix J. “collaboration in a loosely coupled system : librarian - faculty Relationships in Collection development” Library and Information Science Research, v. 17, No2, (Sept., 1995), p. 148 .

7 - Nweke, Ken M.C. “Information methods of human and veterinary medical scientists (HVMS) in Borns State, Negeria” Library and Information Science Research v. 17, No. 1 (Winter, 1995), p.47.

8 - Edwards, Susan and Mairead Browne, “Quality in information Services : do users and librarians differ in their expectations ?” Library and Information Science Research, v 17, No. 2(Spring, 1995), p. 166.

9 - Millson Christopher and Vanaja Menon “Customer expectations : concepts and reality for Academic library Services” College and Research Libraries, v 56, (Jan, 1995), pp. 40 - 41 .

10- Sylvia, Margaret and Marcella Lesher “What journal po Psychology graduate Students need ?” A Citation analysis of their Preferences”. College and Reseasch Libraries, v. 56, (July, 1995), p. 317 .

١١– عاشور، محمد صالح، ص١٩٩.

مشكلات توزيع الكتاب العربي وتسويقه

محمد الأحمد بن الحسن
حلب – سورية

مقدمة

الكتاب خزانة المعارف الإنسانية ، ومستودع التجارب البشرية المتراكمة ، يحفظها السلف للخلف كي ينطلق الخلف منها ويبني عليها ، موفرًا على نفسه عناء التكرار والإعادة ، والكتاب إذا أطلق فإنه يعني كلمة السماء وليس في الدنيا أشرف ولا أقدس من الكتاب وكل ما يتصل بالكتاب أو يشتق لغويًا منه ، أو يتعامل معه، صناعة أو استهلاكًا ، فإنه يستمد منه هذا الشرف وهذه القداسة .

والكتاب عرفته منظمة اليونسكو بأنه المطبوع غير الدوري الذي تصل عدد صفحاته إلى ٤٩ صفحة على الأقل ، وهو وسيلة إعلام ونتيجة منطقية لكافة تعريفات الكتاب ، نتيجة منطقية لتاريخ الكتاب في الوقت نفسه ولحاضره ومستقبله (١) .

وهو آلة أو أداة للمطالعة ولكن لا يمكن الانتفاع به انتفاعًا آليًا . وهو شيء لا يحصى ولا يعوض في آن واحد ، وهو ثمرة أساليب معينة في العمل تعتمد لأغراض ولوجوه معينة من الاستعمال . وهذا قول ينطبق على أكثر منتجات الصناعة البشرية ، لكن مزية الكتاب هي أن الأغراض ووجوه الاستعمال وأساليب العمل التي تلتقي لتحديده تظل بعيدة عن الظاهرة التي هي الكتاب .

ويبدو أن ظهور أول شكل للكتاب ، يرقى إلى الألف الأولى قبل الميلاد ، وربما كان مرتبطًا باستعمال أنواع شتى من المواد المرنة والخفيفة (٢) .

قال أحد القدماء

الكتاب نبع ماء الحياة ... ! ، الكتاب بلسم العقل والقلب .. ! ، للإنسان العاقل الحكيم ، تغطي كل شيء بالكتاب .. ، الكتاب بداية البدايات وملهم الأحلام .. !، والكتاب لذة الحياة ورحلة الفكر والقلب والوجدان (٣) .

فالكتاب هو أقدم وسيلة متكاملة ، وكان الكتاب هو تلك الوسيلة رغم أنه بالطرق البدائية، لكنه أحسن من كل وسائل الاتصال الأخرى .

وهو يعالج موضوع واحد ، فهو ليس تشكيلة ، ويعالج بشكل عميق ، وغالبًا ما يوجه الكتاب لقارئ نوعي أكثر جدية ، وأكثر اهتمامًا وتركيزًا ، ويفرض الكتاب جهدًا أكبر ، وهو وسيلة تحفظ تراث الإنسانية إذًا هو الوسيلة الأقدم ، والمعالجة العميقة ، وعمر طويل وتأثير مستمر ، يلعب دور هام في تكوين الرأي، وثمنه مرتفع نسبيًا (٤) .

هل الكتاب صناعة أم رسالة ؟

يرى سيد أبو النجا أن من يقول إن الكتاب رسالة كمن يقول إن النظافة من الإيمان . ومن يقول إنه صناعة كمن يقول إن النظافة ماء وصابون وثلاجة ومجارٍ تحت الأرض .

والصناعة الجيدة هي التي تجعل كتابًا يروج، والصناعة السيئة هي التي تجعل مثيله يفشل ؛ لأن مقومات السلعة الجيدة عندما تتوافر للكتاب من ورق وطباعة أنيقة ، تحقق النجاح ، وعندما يصبح مثيل هذا الكتاب مطبوعة بأحرف مشوهة، وحبر سيئ ، وتجليد رخيص ، لا سبيل أمامه غير الفشل .

ويؤكد أبو النجا على أن الكتاب سلعة كسائر السلع، لا يأخذ سبيله إلى الأسواق بوصفه رسالة فحسب . وإنما

يشق طريقه بوصفه رسالة وبمقوماته الصناعية ، وبسعره المنافس ، والكتاب الذي لا يتمكن من بيع نسخه لا يتمكن بطبيعة الحال من إبلاغ رسالته .

إن الكتاب يجمع بين فضائل وسيلة الاتصال الجماهيري بحكم الأعداد المطبوعة منه ، وبين فضائل الاتصال المباشر لأن القارئ لابد وأن يخلو للكتاب وأن يتهيأ للقراءة (٥) .

انتشار الكتاب وتوزيعه

إن الكتاب يفرض تحضيراً صعبًا ، ويفرض على كل من يعمل في إصداره مجازفات عديدة ، لأنه لا يوجد أي ضمان مسبق لنجاح هذا المشروع ، فبعد أن تختار لجنة القراءة في دارٍ ما النص الأصلي ، تبدأ عملية جديدة حساسة، هي عملية إنتاج الكتاب . حينئذٍ تختار كل الخصائص المادية والمميزة لهذه الطبعة .

إن الكتاب سلعة مثل كل السلع ، ويحدد كذلك سعر التكلفة بعد السعر الإجمالي ، ويضاف إلى هذا نصيب المؤلف، ويقسم الثمن الإجمالي للطبعة حسب عدد النسخ ، كي يحدد سعر التكلفة للنسخة الواحدة، ثم يضاف هذا السعر ثلاث مرات حتى تحصل على ثمن بيع الكتاب ، الذي يغطي نفقات توزيع الكتاب ومكاسب الناشر ؛ فإن طريقة توزيع الكتاب خاصة جداً ؛ لأنها تعتمد اعتماداً كلياً على ذوق الجمهور (٦) .

لقد عني اجتماع الخبراء بشأن النهوض بالكتاب في البلاد العربية الذي نظمته اليونسكو في القاهرة عام ١٩٧٢ بمشكلة توزيعه على النطاق الإقليمي ، واستعرض في تقريره النهائي الموقف القائم عندئذٍ ، الذي لا يكاد يختلف عنه الآن ، ويقول التقرير «إنه على الرغم من أن اللغة المشتركة تفسح المجال للتبادل الإقليمي على نطاق واسع في العالم العربي ؛ فإن تجارة الكتب لم تتطور في الواقع كما ينبغي داخل المنطقة ... ومن الصعوبة بمكان معرفة الموقف ولو بالتقريب بالنسبة لتوزيع الكتب داخل المنطقة العربية ، وذلك لنقص الإحصاءات ومن ثم فإن سعي جميع البلاد العربية إلى توفير المعلومات الخاصة بهذا الموضوع أمر ذو أهمية قصوى» (٧) .

وحسب إحصاءات اليونسكو لعام ١٩٨٠ فإن نسبة إنتاج الكتب في المنطقة العربية إلى مجموع السكان لا تتجاوز ٣٨ كتاباً لكل مليون ، بينما تبلغ هذه النسبة في العالم ١٥١ كتاباً لكل مليون، وفي أوربا ٦٠٠ كتاب لكل مليون .

وتشير إحصاءات اليونسكو لعام ١٩٩٢ إلى أن نسبة إنتاج الوطن العربي من الكتاب يشكل ٠,٨٪ من الإنتاج العالمي ، ويشكل ٠,٦٪ من مواد الطباعة، ومعدل الكتب لكل ألف شخص في الوطن العربي ٢٩ كتاباً، بينما المعدل العالمي ١٥٩ كتاباً لكل ألف شخص ، أما أعداد الكتب المطبوعة في الوطن العربي ٦٤٠٠ كتاب ، بينما الإنتاج العالمي ٨٤٢٠٠٠ كتاب .

مشكلات نشر الكتاب وتوزيعه

١ - الأسلوب التجاري في النشر والتسويق : طباعة الكتب تلزمها رءوس أموال، واختيار دقيق لما ينشر، بحيث يقبل الجمهور على شرائه بأسرع وقت، وبأسعار تستطيع الصمود أمام المزاحمة والتنافس؛ ومع تطور إنتاج الكتاب في الوطن العربي، زادت تلك المسائل إلحاحاً فلم يعد هناك أفراد قلائل يحتكرون تجارة الكتب .

وبشكل عام ؛ فإن تلك المؤسسات تبني خططها وفق الخطوط الرئيسة التالية :

- مادة الكتاب ومضمونه ليس بذي أهمية ، إذا كان يحقق ربحاً سريعاً .
- استغلال المؤلفين والمترجمين أبشع استغلال، وشراء حقوق الطبع والنشر والتوزيع بأبخس الأثمان .
- تثبيت أسعار عالية للكتب لا تتناسب مع تكلفتها ومع شروط الربح المعقول ، وغالبًا ما تكون تلك الأسعار مطاطة ، بالنسبة للكتاب نفسه ، وحسب المواسم .
- تقليد وتزييف بعض الكتب الرائجة بإعادة طباعتها، في طبعات تجارية ، غالبًا ما تكون مشوهة أو مستوردة ، وبيعها في السوق بأسعار تنافس أسعار الطبعات الأصلية .
- استغلال القطاع العام عند القيام بتوزيع الكتب التي ينشرها وفي الحصول على أعلى عمولات

تحقيقًا لتلك الغاية ومحاربته بشتى الطرق ، بغية إفشال تحركه .

– إغراء الفنيين وعمال الطباعة المهرة بترك القطاع العام مقابل أجر مغرٍ .. ومن ثم استغلالهم .. جهدًا ووقتًا .. بأساليب لا إنسانية .

٢ – ارتفاع أسعار الورق وتكاليف الطباعة :

إن تكاليف طباعة الكتاب تضاعفت مثلين خلال عشر سنوات ، هذا في القطاع العام فكيف في القطاع الخاص؟ خاصة إن زيادة سعر مادة ما ، أو تكاليف شيء ما يأتي خلال سلسلة هندسية من الزيادات للعديد من المواد .

فإذا بحثنا في عالم الكتاب في مختلف مؤسسات النشر العربية الرسمية والخاصة لوجدنا أن ثمنه تضاعف أضعافًا ؛ لأن كثيرًا من الأشياء قد ارتفع ثمنها، كأجور العمال والفنيين والإداريين والشحن والتخزين وزيادة العمولة (٨) .

كذلك المواد الأولية لصناعة الكتاب مستوردة كالحبر والفلم والآلة الطابعة والزنك ، هذه المواد المستوردة بأسعار البلدان المتقدمة (٩) .

٣ – وسائل الإعلام :

نتيجة الظروف الضاغطة التي يعاني منها القارئ العربي ، والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ، ونمو القيم الثقافية المهزوزة والموروث الكبير من التخلف والأمية الحضارية ، فقد أخذت وسائل الإعلام تحل محل الكتاب الجاد والمجلات الفكرية (١٠) .

فوسائل الإعلام وخاصة التلفزيون يستطيع أن يتابعه الأمي والمتعلم ، هذا بدوره طغى على الكتاب ، أما الصحافة فلم يكن لها دور سلبي في تراجع الكتاب، والتلفزيون جعل كثيرًا من الناس يحجمون عن القراءة (١١) .

٤ – الرقابة :

تبرز بصمات الرقابة على الكاتب والكتاب في البلد الواحد ، وفي تصارع الأنظمة العربية .

– ففي كل قطر عربي لوائح طويلة بالممنوعات والمحرمات، في حين قد تكون هذه الممنوعات متوافرة في السوق أكثر من المرخصات ؛ لأنها ببساطة الأكثر تهريبًا .

– هناك الرقابة الداخلية ، فكثير من المفكرين يصمتون أمام قضايا مصيرية .

– تسمح أجهزة الرقابة للكثير من الكتب الرخيصة والروايات البوليسية ، والقصص التافهة بالتنقل بين أقطار الوطن العربي في حين تمنع الكتب الجادة .

فالرقابة في البلدان العربية تؤدي إلى ضيق الحريات والآراء ، هذه الرقابة أدت إلى أمرين :

أ – أن الكاتب لا يخدم كثيرًا مع الكتاب ، ولا يريد كتابة ما لا يوافقه .

ب – القارئ ليس لديه أية مصداقية تجاه الكتاب العربي (١٢).

٥ – القوانين والأنظمة الجمركية :

– إن تسويق الكتاب العربي من قطر إلى آخر تكتنفه المتاعب والأهوال والنفقات الباهظة ، فهناك موافقة المالية والجمارك ، واللجوء إلى شركات الطيران والعملات الأجنبية الصعبة ، والرشاوي والإكراميات ، وهناك معاملات يجب أن تصدق ، وتفتيش على نوعيات الكتب أصعب من التفتيش على المخدرات .

– وقد يحتاج الكتاب العربي إلى جواز سفر دبلوماسي (١٣) .

مشكلات القارئ العربي

١– مشكلات اقتصادية :

تنتمي طوائف المتعلمين في أكثريتها الساحقة إلى الشرائح الدنيا من المجتمع ، وقد توجهت إلى التعليم للحصول على الوظيفة أو العمل ، ليساعدانها على تحسين مستوى معيشتها .

غير أن الدخول المحدودة لمعظم هذه الفئات لا تساعد في واقع الحال على الإنفاق ، على الكتب والمجلات وكثير من هذه الفئات يجد نفسه مجبرًا ، وسط ظروف الغلاء على المفاضلة بين دفع ثمن الكتاب أو الصحيفة ، وبين توفير هذا الثمن لشراء الخبز ، خاصة بعد موجات الغلاء المتصاعدة في الآونة الأخيرة .

فإن انعدام الصناعات الثقافية في البلدان العربية يؤدي إلى ارتفاع أسعار الكتب بالنسبة إلى دخول الناس ، متوسط سعر الكتاب يتجاوز متوسط الدخل الشهري ، فشراء نسخة واحدة يتجاوز ٧٪ من الدخل الشهري للعربي ومجموع راتبه ١٥ كتابًا من السعر الوسط (١٤) .

٢ - **مشكلات اجتماعية** :

وتتجلى في انعدام التوازن بين دخول الموظفين وذوي الدخل المحدود ، وبين دخول الفئات المماثلة التي تمارس أعمالاً حرة ، ومن نتائج ذلك هرب الموظفين والفنيين بصفة خاصة إلى قطاع الأعمال الحرة ، وينعكس ذلك في تضاؤل الاهتمام بالثقافة بشكل عام والمطالعة بشكل خاص ، مقابل الاهتمام بقيمة الأعمال الحرة ، والعمل اليدوي في القطاع الخاص ، في مجتمع سادت فيه قيم المجتمع الاستهلاكي ، مجتمع السلع الذي يبحث عن الزيادة في الدخل والثراء بمختلف الطرق والوسائل (١٥) .

٣ - **مشكلات سياسية** :

إن اضطراب المعايير السياسية العربية في توظيف وتصنيف فئات المتعلمين وفق مسلسل هرمي في أجهزة الدولة ومؤسساتها ، وعدم ارتكازه على القيمة الثقافية الحقيقية ، وعلى مبدأ تكافؤ الفرص الذي يعتمد معيار الكفاءة العلمية ، بعيدًا عن الواسطات ، أضعف قيمة الفكر والثقافة إلى حد كبير .

٤ - **عدم استقرار القيم الثقافية** :

إن عدم استقرار القيم الثقافية وتصارعها العنيف يتجلى في سائر مناحي حياة شعبنا العربي هذا الصراع ناشئ عن التعارض بين القيم الثقافية التي تجلت قديمًا أيام الحضارة العربية الإسلامية ، وبين القيم الثقافية الجديدة التي تنتشر في مجتمعنا عبر أقنية الاتصال مع الحضارة الغربية الحديثة هذا من جهة . ومن جهة أخرى فالثقافة هي الأساس في بناء المجتمع وتغييره . وهي المؤثرة والفاعلة في أي بناء أو أي تقدم اقتصادي أو اجتماعي أو تقني ... ولكن ما تراه في معظم الأقطار العربية هو العكس تمامًا .

عوائق تسويق الكتاب في الوطن العربي

إن أزمة تسويق الكتاب من أزمة العربي ككل ، العاملون في حقل الكتاب من مؤلفين وناشرين وموزعين وفنيين لم ينفكوا يومًا عن الإشارة إلى أزمة لم يستطع أي طرف أن يحددها تحديدًا كاملاً ، وأن يلم بكل جوانبها الظاهرة والخفية .

فهل تكون الأزمة أزمة كاتب ، أم قارئ ، أم أزمة تسويق، أم أزمة فنية ؟

إذًا تجيء أزمة الكتاب العربي في مستويات عدة بدءًا *من الطباعة حتى القارئ ، مرورًا بأزمة التسويق* . فمعظم دور النشر تعاني هذه المشكلة في العمق فتجد أسواقًا عربية مغلقة ، وكذلك أخرى تحجب التعامل معها لأسباب عديدة سياسية ، أو اقتصادية ، وأعتقد أن أساس الأزمة إنما يكمن في التسويق ، فانتشار الكتاب ورواجه إنما هو رهن التسويق من خلال النقاط التالية :

١ - **عجز الناشرين عن التعريف بالإنتاج** :

إن مدى نجاح الموزعين في الدول الأجنبية في ترويج إنتاجهم من الكتب وغزوهم مختلف الأسواق في شتى أنحاء العالم ، لما يبذلونه من مجهودات للتعريف بمنشوراتهم بالرغم مما يتحملونه من مصاريف وأتعاب للوصول إلى غايتهم في تسويق ما أنتجوه ، على أوسع نطاق بأسرع الأوقات وأكبر الكميات ، وهذا لا نجده عند الموزعين العرب (١٦) .

ذلك لأن معظم الناشرين يركزون على الإعلان عن كتبهم إلى طبقة من مختلف المستويات الدراسية فقط ، ولا يوجد أية برامج مدروسة للإعلان والترويج للكتب، سواء أكان ذلك على المستوى المحلي أم القومي ، وهذا راجع إلى سبب عدم دراية الناشرين بالأسس العلمية للإعلان من ناحية، ومن ناحية أخرى أن الناشرين كل هدفهم الحصول على أكبر قدر من الكسب المادي بأقل التكاليف .

٢ - **عدم اهتمام وسائل الإعلام** :

تعدّ جميع وسائل الإعلام من صحافة وإذاعات مسموعة ومرئية مقصّرة في التعريف بأهمية الكتاب العربي، ويتمثل ذلك التقصير في :

أ – عدم وجود أبواب ثابتة للتعريف بالكتب والمراجع في الصحف والمجلات العامة والمتخصصة .

ب – عدم قيام حلقات وندوات حول ما ينشر من جديد في إنتاج تجاري عربي .

جـ – أحاديث وندوات مع المؤلفين للتعريف بما ينشرون من مؤلفاتهم (١٧) .

د – تجاهل الإعلام للكتب التي تنشر وإذا نشر هذا الإعلام عن كتاب فينشر خبر .

٣ – أنظمة الرقابة العربية وروتينيتها :

في جميع الدول العربية أنظمة رقابة على المطبوعات تحد من مرونة السوق ، وتجعل انتقال المطبوعات مهمة إدارية تبدو مستحيلة عكس الحال في دول السوق المشتركة بين أوربا والولايات المتحدة .

كذلك الأنظمة العربية تحارب الكتاب في الأغلب ، ولا تساعده وتعده عدو مسبق وتتعامل معه بهذا الأساس ، فإذا لم تساعده يجب أن تقف على الحياد ، فمثلاً إذا سافر شخص ومعه كتاب ، عند الحدود يؤخذ منه الكتاب مهما كان نوعه ، وإذا لم يحمل أية أضرار للدولة التي سوف يدخل عليها ، يستلمه من وزارة الثقافة من البلد الذي هو ذاهب إليه إن وجده .

٤ – الفقر في الخدمات البريدية وارتفاع أجور البريد والنقل والشحن :

من النقائض العصرية التي تعانيها السوق العربية المفترضة ، أن الخدمات البريدية والمتعلقة بالمطبوعات ليست متوافرة بالقدرة والمستوى ، اللذين يسمحان بالانتقال الحر والسهل للمطبوعات بتكاليف منخفضة ، فلا قطارات هناك ولا خطوط نقل برية منتظمة تربط العالم العربي كله بشبكة مترابطة من المواصلات بكلفة نقل معتدلة، مما يتسبب في عمليات تأخر الشحن وتعطيل تصدير الكتب للبلاد الطالبة لها مما يفوّت الفرصة من الاستفادة بها في حينها .

يعاني الكتاب العربي من ارتفاع أجور البريد والنقل والشحن ، وهذه الأجور تختلف من بلد لآخر ، على الرغم من أن هناك اتفاقات عربية ودولية مثل اتفاقية مؤتمر البريد العالمي في عام ١٩٥٧ التي تنص على أن يجرى تخفيض إجباري قدره ٥٠٪ على رسوم الكتب والصحف والدوريات والخرائط ، وكذلك معاهدة الاتحاد الدولي للنقل الجوي في عام ١٩٥٣ التي تنص على إجراء تخفيض في أجور الشحن بنسبة ٥٠٪ .

ومن أهم المشكلات التي تواجه إرسال المطبوعات وشحنها في الوطن العربي :

١ – الصعوبة في الحصول على معلومات كافية عن وسائل الشحن المختلفة وعن أجور الشحن ، وكذلك عن الإجراءات المالية والإدارية المطلوبة .

٢ – قيود الرقابة والقيود الجمركية وقيود الاستيراد لها أثر كبير في إرسال المطبوعات وشحنها بوجه السرعة في الوطن العربي .

٣ – ارتفاع تكاليف النقل ، له مردود سلبي في توزيع الكتاب العربي على أوسع نطاق .

٤ – اختلاف قوانين ولوائح الشحن وعدم التطبيق الفعلي للاتفاقات العربية والدولية أثر تأثيراً مباشراً في وصول الطرود المشحونة في مواعيدها المحددة .

٥ – عدم وجود تسهيلات خاصة للمطبوعات من ناحية التخزين أو الشحن والتفريغ مما أدى إلى تلف كثير من المطبوعات .

٥ – الرسوم الجمركية وقيود الاستيراد والتصدير :

إن مجرد وجود حواجز جمركية بين الدول العربية ليس بحد ذاته سبباً لعدم تدفق الكتب وغيرها عبر الحدود، ولكن ارتفاع هذه الحواجز بوجه أي شيء دون استثناء يجعل عبور المطبوعات مسألة معقدة مربوطة بالقوانين الجمركية المتزمتة (١٨) .

إن النظرة مازالت تقليدية إلى الكتاب ، إذ ينظر إليه على أنه سلعة تجارية وليس أداة ثقافية علمية ، إن جميع التعقيدات الجمركية في الوطن العربي متأثرة تأثراً مباشراً بالنظم الاقتصادية والسياسية في الوطن العربي .

فرسوم الجمارك بين البلدان العربية وأجور النقل

المرتفعة تصل إلى ما يوازي سعر الكتاب . ولتحل المشكلات المتعلقة بالقوانين الجمركية وقيود الاستيراد والتصدير التي تعرقل تناول الكتاب العربي نقدم الاقتراحات التالية :

١ – تسهيل عملية الحصول على تراخيص لتصدير المطبوعات .

٢ – عمل اتفاقيات على المستوى العربي لتسهيل كل ما يتعلق بالرسوم الجمركية .

٣ – وضع سياسة مالية تنظم تداول العملات المحلية داخل الوطن العربي .

٤ – تسهيل استيراد المواد المختلفة التي تساعد على صناعة الكتاب العربي .

٥ – إعفاء خامات الطباعة من الرسوم حتى يمكن تخفيض أسعار الكتاب العربي .

٦ – حث الجامعة العربية على إنشاء صندوق لتسيير تداول الكتاب العربي (١٩) .

ينبغي أن يكون هناك دور للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في تسويق الكتاب ، فإنها لا تؤدي أي دور، عندها إمكانات ويمكن أن تؤدي دورًا من ناحيتين :

١ – يمكن أن تكون ناشرًا عربيًا كبيرًا لا تتقيد بالأسعار والحريات .

٢ – يمكن أن توزع في كل البلدان العربية .

لكن في جانب النشر لا تستخدم هذه الإمكانية ولا تساعد على نشره ، ومن المفروض أن تقوم بنشاطات وندوات ودراسات ، وتساعد الكتّاب والمؤلفين .

والسبب في عدم تأديتها لدورها بشكل صحيح هو الخلافات العربية ، كما أنها ليس لها سياسة واضحة .

وأخيرًا .. هل قضية الكتاب العربي بخير ؟ وهل وضع المؤلف العربي بخير ؟ وهل وضع الناشر والموزع والقارئ .. بخير ؟

إن وضع جميع أطراف الكتاب العربي بائس إلى حدٍّ كبير ، ولم يعد يلائم العصر ، ولا يتفق مع متطلبات وطموحات وآمال المستقبل ، ونحن ندق أبواب القرن الواحد والعشرين !

وقال أحد المسئولين عن حركة النشر عامة (٢٠) :

«الكتاب العربي ليس بخير .. ولكن القارئ العربي بخير .. ! أما الأزمة الحقيقية للكتاب العربي فتتلخص بكلمة واحدة مزدوجة : الحرية .. الرقابة .

إن حرية الكتاب كل لا يتجزأ .. فمادام الكتاب يعامل في الوطن العربي من أدناه إلى أقصاه معاملة المخدرات .. ويعامل مؤلفه معاملة المهرب .. ويعامل ناشره معاملة الإرهابي ، ويعامل قارئه معاملة اللص .. فلا أمل لهذا الوطن العربي بأن يلحق بركب القرن الواحد والعشرين .. ! وعندما ندرك كعرب مثقفين .. أنه لا يفصل بيننا وبين القرن المقبل نصف عقد من الزمن .. لا نستطيع إلا أن نرفع أيدينا تضرعًا .. حتى لا أقول استسلامًا .. بأن ترأف بنا الرقابات العربية .. ! .. والكتاب العربي مضطهد كالقارئ .. وعلى القارئ أن يقابل هذا الاضطهاد بالإقبال على شراء الكتاب .. وبالصمود في وجه المنبع.. حتى يعيد للقراءة متعتها وللكتابة بهاءها .. وحتى تبقى الحماسة للقلم والكتاب والإبداع» .

الهوامش

١ – سيد محمد ، محمد / **صناعة الكتاب ونشره** ، ص١٤.

٢ – حبش ، حسين / **الأخطبوط الإعلامي الدعائي**، ص٢١ – ٢٢ .

٣ – عيسى ، سميح /**مجلة المعرفة** ، ع٣٤٥ ، ص٥٨ .

٤ – خضور ، أديب / محاضرة حول الكتاب العربي ومشاكله بجامعة دمشق بتاريخ ١٩٩٥/٣/٢٧ .

٥ – سيد محمد ، محمد/**مرجع سابق** ، ص١٦.

٦ - ياقوت صالح ، رجاء / **صناعة الكتاب بين الأمس واليوم** ، ص٨٣ - ٨٤ .

٧ - قنديل ، حمدي / **تطوير الإعلام في الدول العربية** ، ص٢١ - ٢٣ .

٨ - مجلة **المعرفة** ، العدد ٢٣٣ ، ص٤١ - ٤٥ .

٩ - لقاء مع الأستاذ حسين العودات (مدير دار الأهالي للطباعة والنشر بدمشق) .

١٠- مجلة **المعرفة** ، العدد ٢٣٣ ، ص٤١ - ٤٥ .

١١- لقاء مع الأستاذ حسين العودات .

١٢- المرجع نفسه .

١٣- مجلة **المعرفة** ، ع٢٣٣ ، ص٤١ - ٤٥ . سميح عيسى.

١٤- لقاء مع حسين العودات .

١٥- مجلة **المعرفة** ، ع٢٣٣ ، ص٤١ - ٤٥ . سميح عيسى.

١٦- الشريف ، محمد / ندوة الكتاب العربي ، تونس ٣١ آذار ١٩٧٥ ، **توزيع الكتاب ومسالكه في البلاد العربية** ، الشركة التونسية للتوزيع ، ص٢٧.

١٧- الشريف ، عبدالله / معوقات حركة نشر الكتاب العربي ، **المجلة العربية للثقافة** ، ع٤ آذار ١٩٨٣، ص٤٥ .

١٨- بطرس ، أنطوان / «مشاكل النشر في الصحافة العلمية العربية» ، العلم والتكنولوجيا ، بيروت ، ع١٣حزيران ١٩٨٨ ، ص٥٥ - ٦٢ .

١٩- مجلة **الناشر العربي**، ع١٥ ، ١٩٨٩، ص٣٦ - ٣٩.

٢٠- الريس ، رياض نجيب . مجلة **الناقد** ، ع٤٠ عام ١٩٩١م .

المراجع

١- بطرس ، أنطوان «مشاكل النشر في الصحافة العلمية العربية» ، **العلم والتكنولوجيا** -، بيروت ، ع١٣، حزيران ١٩٨٨م .

٢ - حبش ، حسين ، **الأخطبوط الإعلامي الدعائي** ، دار الفارابي -، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى عام ١٩٧٦ .

٣ - خضور ، أديب / محاضرة حول الكتاب العربي ومشاكله بجامعة دمشق بتاريخ ١٩٩٥/٣/٢٧.

٤ - سيد محمد ، محمد / **صناعة الكتاب ونشره** -، ط٢ -، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٨.

٥ - الشريف ، عبدالله / معوقات حركة نشر الكتاب العربي ، **المجلة العربية للثقافة** ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، السنة الثالثة ، ع٤ آذار ١٩٨٣ .

٦ - الشريف ، محمد / ندوة الكتاب العربي ، تونس ٣١ آذار ١٩٧٥، **توزيع الكتاب ومسالكه في البلاد العربية** ، الشركة التونسية للتوزيع .

٧ - العودات ، حسين ، مقابلة بتاريخ ١٩٩٥/٤/٢٢ .

٨ - عيسى ، سميح ، **مجلة المعرفة** ، ع٢٣٣ ، السنة ٢١ ، تموز ١٩٨١.

٩ - عيسى ، سميح ، **مجلة المعرفة** ، ع٣٤٥ ، السنة ٣١ ، حزيران ١٩٨٢.

١٠- قنديل ، حمدي ، **تطوير الإعلام في الدول العربية** ، رقم ٩٥ - اليونسكو .

١١- الريس ، رياض نجيب ، **مجلة الناقد** ، ع٤٠ عام ١٩٩١م .

١٢- ياقوت صالح ، رجاء - **صناعة الكتاب بين الأمس واليوم** .

١٣- مجلة **الناشر العربي** ، ع١٥ - السنة ١٩٨٩ .

علال الفاسي

ببليوجرافية في تراثه المكتوب

عبدالقادر الإدريسي
كاتب صحافي – المغرب

مقدمة

خلف علال الفاسي تراثاً فكرياً بالغ الثراء شديد الغناء عظيم الفائدة، يتبوأ مكانة متميزة وراقية في الساحة العربية الإسلامية المعاصرة، ويجعله في الطليعة من مفكري الإسلام وعلمائه ذوي الرأي والاجتهاد والمشاركة في الحياة العقلية والثقافية والفكرية من موقع التفرد والتفوق. فلقد كان علال مفكراً إسلامياً من الطراز الأول، وباحثاً أكاديمياً رفيع المستوى، ومثقفاً على الثقافة واسع الأفق، وكاتباً مبرزاً، وشاعراً فحلاً، إلى ما كان يمتاز به من سجايا عالية وخصال سامية دفعت به إلى قيادة الحركة الوطنية في بلاده منذ شبابه المبكر، وأهلته للمشاركة في إغناء الفكر الإسلامي العربي والوطني، فكان صاحب مدرسة فكرية إسلامية عربية وطنية، لها تميزها وخصوصيتها بين مدارس الفكر الإسلامي المعاصر.

ويكشف تراث علال الفكري والثقافي المطبوع والمخطوط، عن النبوغ المغربي الراقي لدى هذا المجاهد الوطني الرائد، ويعكس مميزاته التي تجعل منه مفكراً متميزاً له فكره العميق، ليس في الفكر المغربي فحسب، ولكن في الفكر العربي الإسلامي في حقوله السياسية والمذهبية والفقهية والعلمية والفكرية.

ولئن كان تراث علال ذا أبعاد متنوعة ومظاهر متعددة، فإن تراثه المكتوب، سواء المطبوع أو المخطوط، يشكّل في مجموعه، مكتبةً لا يمل الباحثُ من العكوف عليها، والإفادة منها، والأخذ عنها. ذلك أن كتب علال، ورسائله، ومقالاته، وأبحاثه ودراساته، ومحاضراته، وتقاريره، تمثّل زاداً فكرياً دسماً، ومصدراً غنياً من مصادر الفكر الإسلامي العربي الوطني والإنساني.

لقد كانت حياة علال جهاداً متواصلاً لا ينقطع، عاش ٦٤ عامًا، قضى منها تسعة أعوام في المنفى، بإحدى القرى في الغابون، وقرابة تسعة أعوام خارج الوطن معبئًا نفسه للدفاع عن القضية المغربية في عهد الحماية الاستعمارية. وتقارب هاتان المرحلتان ثلث عمره، أما الثلثان الآخران، فقد قضاهما في نضال سياسي مستمر، وكفاح فكري مُطرِد، وعمل ثقافي متواصل، ونشاط أكاديمي وجامعي لا يفتر، فلقد كان دائب الحركة، متدفق النشاط، يفور حماسًا وحيويةً وإقبالاً على العمل، آناء الليل وأطراف النهار.

وهذه الحياة العملية المتدفقة بغزير العطاء، لم تكن لتسمح لصاحبها بالتفرغ الطويل للتأليف، والاعتكاف المستمر للكتابة. ولذلك نلاحظ ابتداءً، أن التراث المكتوب الذي خلفه علال، على قيمته وفائدته، وعلى غناه وجدواه، فإنه لم يكن من الغزارة والتنوع والكثرة، بحيث يتناسب – تناسباً كاملاً – مع عطاء صاحبه في مجالات عديدة خاض فيها المعارك السياسية والفكرية والثقافية والوطنية بكل القوة والعنفوان والتدفق والاقتدار الذي طبع حياته كلها.

إن حياة النضال السياسي اليومي لم تترك لعلال الفرصَ المواتية لتأليف عشرات الكتب التي كان يطمع في أن يكتبها، ولذلك فإن عدد مؤلفاته، هو أقل مما كان يريد أن يكون. وإن كانت قيمة الكتب ليست في حجمها وعددها، وإنما هي في مضمونها ومحتواها. وجميع الكتب والرسائل والتقارير والأبحاث والدراسات والمحاضرات والمقالات التي خلفها علال ، دون استثناء، هي كتب رفيعة المضمون راقية المحتوى دون منازع.

إنّ المتأمل في ببليوجرافيا الكتب التي ألفها علال الفاسي، المدقق المتفحص المتمعن في تراثه المكتوب، المطبوع منه، والمخطوط، والمبثوث في بطون الصحف والمجلات، يلاحظ أنه بدأ النشر في فترة مبكرة من حياته وأن أول إنتاج صدر له بين دفتي كتاب، هو: (**المثل الأعلى في الصدق والثبات وحسن الإنابة**)، الذي طبع بفاس عام ١٣٥٠هـ الموافق ١٩٣٢م، وهو قصة شعرية مستوحاة من حديث الثلاثة الذين تخلفوا عن مشهد تبوك في عهد الرسول ﷺ . والقصة محدودة الصفحات، صدرت باسمه الأصلي (محمد علال الفاسي)، وأردفها برسالة طبعها بالمطبعة المهدية بتطوان في شمال المغرب في عام ١٣٥٢هـ الموافق ١٩٣٤م، بعنوان (**لفظ العبادة، وهل يصح إطلاقه لغير الله ؟**). وصدر هذا الكتيب في سياق اهتمامات الرأي العام المغربي المثقف في تلك الفترة بهذا الموضوع على إثر قطعة نثرية أدبية كتبها عبدالهادي الشرايبي تحت عنوان (جاذبية الوطن) ونشرت في مجلة (السلام) التي كانت تصدر بتطوان، وردت فيها تعابير جديدة أثارت الجدل. ثم صدر كتيب (**العرش المغربي**) وذلك بمناسبة الذكرى السابعة لجلوس الملك محمد الخامس على العرش في عام ١٩٣٤، و يقع في ٢٠ صفحة، ثم ملحمة شعرية في ٥٠ صفحة نشرت بالرباط في عام ١٩٣٥، تحت عنوان (**مفاخر العلويين: وهو موجز عن تاريخ الدولة الشريفة وأعمالها الخالدة**)، والمراد بذلك دولة الأشراف العلويين التي ينتمي إليها الملك الحسن الثاني.

ولم يظهر لعلال بعد هذه الرسائل الأربع أي إنتاج مطبوع بين دفتي كتاب إلى أن كانت مرحلة الإنتاج والعمل الفكري المسترسل في القاهرة التي عرفت صدور ثلاثة كتب له دفعة واحدة في عام ١٩٤٨.

لقد شارك علال الفاسي بقلمه في الصحف والمجلات التي صدرت في المغرب في الثلاثينات، فكتب في مجلة (السلام) لصاحبها محمد داود، وفي مجلة (المغرب الجديد) لصاحبها محمد المكي الناصري، وكانتا تطبعان في تطوان، وفي جريدة (الأطلس) لسان كتلة العمل الوطني، ثم الحزب الوطني التي كانت تصدر من الرباط كما كتب في جريدة الحياة التي أصدرها عبدالخالق الطريس، وفي جريدة (الريف) لصاحبها التهامي الوزاني، اللتين صدرتا في تطوان. ونشر علال أيضًا، خلال هذه الفترة، في صحف جمعية العلماء المسلمين بالجزائر.

ولم تُجمع حصيلة هذا النشاط الفكري والأدبي الذي تفوّق فيه علال في هذه المرحلة – فترة ما قبل النفي – لم تجمع هذه الحصيلة حتى الآن في كتاب أو مجموعة كتب، باستثناء البحث الذي كتبه عن أحمد شوقي بمناسبة (يوم شوقي)، الذي نظمه قادة العمل الوطني الشباب بفاس بعد وفاة الشاعر العربي، والذي صدر ضمن كتاب عن إحدى مطابع فاس، وهو يشتمل على العروض والكلمات التي قدمت إلى هذا المهرجان.

وتأتي فترة النفي الطويلة التي استغرقت تسع سنوات، لتضع أمام الباحث سؤالاً من الأهمية بمكان عن النشاط العقلي والإنتاج الأدبي لعلال الفاسي خلال هذه المرحلة العصيبة من حياته. ولا تسعفنا مكتبة مؤسسة علال الفاسي التي تضم كتبه وآلاف الكتب الأخرى، بمدنا بمعلومات عن آثار هذا النشاط، إلا ما كان من الإنتاج الشعري الذي أبدعه علال الأسير الوطني المنفي؛ فقد كتب شعرًا كثيرًا أثناء النفي، منه شعر مترجم عن اللغة الفرنسية، أو مستوحى من القصص الفرنسية بعد أن تفرغ لدراسة اللغة الفرنسية في منفاه، اللهم إلا البحث الذي كتبه عن كتاب الأحكام للقاضي ابن العربي. ولا نعرف على وجه الدقة، ما إذا كان علال قد كتب مذكراته عن هذه المرحلة، كما لا نعرف شيئًا عما إذا كان قد كتب دراسات أو أبحاثًا في

منفاه، أو راسل الصحف والمجلات. ويمكن الجزم أنه لم يكن من المتاح له مراسلة الصحف في ظروفه تلك ، ولكن المتيقن أنه كتب هوامش وتعليقات وحواشي على الكتب التي كان يسمح له بقراءتها. وهذه الكتب محفوظة اليوم في مكتبة مؤسسة علال الفاسي وعليها خطوطه .

ويمكن القول إنّ الفترة التي أعقبت رجوع علال من المنفى في عام ١٩٤٦، والتي توجّه فيها إلى القاهرة، هي أهم المراحل في حياة الكاتب، ففي هذه الفترة التي امتدت قرابة عشر سنوات، والتي أقام فيها بالقاهرة، كتب علال أهم مؤلفاته، ونشر في الصحف والمجلات، وأذاع أحاديث عديدة من الإذاعة، خاصة إذاعة (**صوت العرب**) من القاهرة، التي كانت حديثة عهد بالتأسيس فعكست اتجاه حركة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ إلى الاهتمام بالدعاية والإعلام ابتداءً من سنة ١٩٥٣.

وأستطيع أن أجزم أن حصيلة النشاط الفكري والثقافي والعلمي لعلال خلال إقامته بالقاهرة، والزيارات التي كان يقوم بها انطلاقًا من القاهرة إلى العواصم العربية والأجنبية مثل دمشق وبغداد وبيروت وطرابلس الشام ونيويورك، لم تجمع بالكامل في كتب مستقلة، وأن ما جُمع منها، لا يعكس الصورة الحقيقية لهذا النشاط الحافل الغزير والمتدفق.

وما ينطبق على هذه المرحلة من حياة علال الفاسي، ينطبق على مرحلة ما بعد الاستقلال إلى حين وفاته؛ حيث نجد الكتب التي أصدرها، لا تضم جميع ما كتب ونشر وأذاع من أبحاث ودراسات ومقالات وأحاديث ومحاضرات. فلا يزال قدر كبير من إنتاج علال موزعًا في بطون الدوريات، أو مسجلاً على أشرطة الإذاعة والتلفزيون داخل المغرب وخارجه.

وعلى الرغم من المجهود الذي قامت به (مؤسسة علال الفاسي) في هذا المجال بعناية مديرها السيد عبدالرحمن الحريشي، فإن الإنتاج الفكري والعلمي الذي خلفه علال لا يزال في حاجة إلى عملية شاملة يقوم بها فريق عمل متخصص يعرف مظان هذه الكتابات ومصادرها، ويعلم كيف يلتمس السبل والوسائل إليها.

ويمكن القول إن معظم مؤلفات علال الفاسي كانت في الأصل موضوعات نشرت أو ألقيت كمحاضرات وأحاديث، باستثناء كتاب (**الحركات الاستقلالية في المغرب العربي**) الذي صدرت طبعته الأولى بالقاهرة في عام ١٩٤٨، والذي كتب استجابة لدعوة من الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية التي كان على رأسها يومئذٍ الدكتور أحمد أمين، وكتاب (**الجواب الصحيح والنصح الخالص عن نازلة فاس وما يتعلق بالشهور العربية**) الذي صدر بالرباط في الستينات، وكتب بمناسبة حادثة رؤية هلال رمضان الشهيرة.

وليس في ذلك ما يعيب أو ينقص من قيمة هذه الكتب، فهذا هو الطابع العام للتأليف في عصرنا، ومعظم المؤلفات التي أصدرها أعلام الفكر والعلم والثقافة والأدب في الوطن العربي، وهي مجموعات مقالات وفصول نشرت في الصحف والمجلات أو محاضرات وأحاديث ألقيت في مدرجات الجامعة، وفي قاعات المحاضرات في مناسبات مختلفة.

وكان علال أحد هؤلاء الأعلام المرموقين، يعيش حياتهم، ويندمج معهم، ويحذو حذوهم في الكتابة والتأليف والنشر، ويخوض معهم معارك الفكر والرأي.

لقد كان كتاب (**النقد الذاتي**)، على سبيل المثال، مقالات أسبوعية نشرت في (رسالة المغرب) في مرحلتها الوسطى في أواخر الأربعينات حين كان عبدالكريم غلاب رئيسًا لتحريرها غداة عودته من مصر في عام ١٩٤٩، وكان الكتابان اللذان يتناولان قضية الوحدة الترابية للمغرب وهما: (**كي لاننسى**)، و (**دفاعًا عن وحدة البلاد**) أيضًا، مقالات نشرت في جريدة (صحراء المغرب) التي أصدرها علال تحت مسئوليته في أعقاب عودته إلى المغرب بعد الاستقلال عام ١٩٥٧.

وكذلك كان كتاب (**رأي مواطن**) الذي يحمل عنوان عمود صحافي كان ينشره علال في الصفحة الأولى بجريدة «العلم». وهذه المجموعة من المقالات الصحافية التي كان الكاتب يواكب بها الأحداث السياسية اليومية، هي في غاية الأهمية لأنها تلقي الضوء على فترة حاسمة

من الكفاح السياسي الذي خاضه علال الفاسي بقلمه.

أما الكتب التي كانت في الأصل محاضرات ألقيت في الجامعة، فمنها، مثلاً، وفي مرحلة ماقبل الاستقلال، كتاب: (**المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى**)، الذي كان في الأصل محاضرات ألقاها علال على طلبة قسم الدراسات التاريخية والجغرافية في معهد الدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة، أما في مرحلة ما بعد الاستقلال، فقد كان كتاب (**مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها**) محاضرات جامعية ألقيت على طلبة كليتي الحقوق في الرباط وفاس. ويضم كتاب (**حديث المغرب في المشرق**) محاضرات جامعية وأخرى عامة ألقيت في الأزهر بالقاهرة، وفي كلية الحقوق بدمشق وفي أماكن أخرى، وهذه كلها يجمعها قاسم مشترك هو الدفاع عن القضية المغربية في عهد الحماية.

ومن الكتب التي تضم محاضرات وأحاديث عامة ألقيت في مناسبات مختلفة كذلك كتاب (**دفاع عن الشريعة**)، الذي هو في الأصل محاضرات ألقيت في إطار المهرجانات التي كانت تنظمها مؤسسة النهضة بمدينة سلا بمناسبة ذكرى المولد النبوي. وكذلك كتاب (**حفريات عن الحركة الدستورية بالمغرب قبل الحماية**)، الذي أذكر جيّداً أنه كان محاضرة عامة ألقاها علال في (دار مريسة) بالرباط قي مطلع السبعينات، وكتبتُ عنها يومئذ تغطيةً شاملة نشرت في جريدة (العلم).

ومن كتب فترة ما قبل الاستقلال، التي كانت محاضرات أو تقارير سياسية، كتاب (**الحماية في مراكش من الوجهتين التاريخية والقانونية**) الذي صدر في عام ١٩٤٨ ضمن منشورات مكتب المغرب العربي، وكان في الأصل محاضرة ألقيت بمقر المكتب بمناسبة مرور ٣٦ سنة على فرض الحماية على المغرب. وكذلك الشأن بالنسبة لكتاب (**حماية إسبانيا في مراكش من الوجهتين التاريخية والقانونية**) الذي صدر في السنة نفسها، وكتاب (**السياسة البربرية في مراكش: عناصرها ومظاهر تطبيقها**) الذي صدر في عام ١٩٥٢. وصدرت هذه الكتب عن مطبعة الرسالة لصاحبها الكاتب الأديب المصري الكبير أحمد حسن الزيات صاحب مجلة (الرسالة) الشهيرة.

ومعظم مؤلفات علال تندرج تحت هذا الإطار، فهي في الأصل محاضرات جامعية أو عامة، أو تقارير مذهبية قدمها إلى المؤتمرات الحزبية العامة. وهذه التقارير المهمة تمتاز بالعمق، وبالرؤية التحليلية للواقع المغربي والعربي والإسلامي والدولي، إلى جانب الشمولية والتوسع والاستفاضة، بحيث جاءت كلها في كتب قائمة الذات.

ومن السمات البارزة في كتب علال على وجه العموم، العمق والجدة والشمولية وروح التجديد والابتكار والشجاعة في طرح الرأي والقدرة على التحليل المستفيض ومناقشة الأفكار بنفس عالٍ. ويختلف منهج علال في محاضراته الجامعية التي أصدر بعضها في كتب، عن المناهج الأكاديمية السائدة؛ فهو لا يكتفي بتقديم المادة وبسطها أمام الطلاب في أسلوب آلي وبطريقة تقليدية تقوم على التلقين المحض، وإنما هو يحلّل الأفكار، ويناقش الآراء، ويوازن بين النظريات ويقارن، ويدقق ويمحص، فتحس وأنت تقرأ له، أو تسمع إليه في مدرج الكلية، وكأنه في جلسة نقاش وحوار علمي عالي المستوى يقارع الحجة بالحجة، ويفند، ويدحض، ويرجّح، ويردّ ويجادل بوعي وثقافة وعلم ومعرفة وموسوعية. وهو في محاضراته المنشورة في الكتب - كما هو شأنه في جميع محاضراته - أقرب إلى المفكر المنظّر الكاتب المتعمق في موضوعه، الذي استوفيت عنده شروطُ الكتابة العالية المستوى، منه إلى الأستاذ المحاضر في الجامعة.

وتلك هي الخاصية التي تتميّز بها كتب علال الفاسي جميعًا، تستوى في ذلك كتبه التي هي من أصل المحاضرات والأحاديث، أو تلك التي هي من أصل المقالات والتقارير المذهبية السياسية.

وعلى هذا الأساس، يمكن تصنيف مؤلفات الفاسي إلى المستويات التالية:

المستوى الأول: مؤلفات صدرت قبل فترة النفي، (أكتوبر عام ١٩٣٧)، وهي أربع رسائل من حجم صغير:

١ - المثل الأعلى في الصدق والثبات وحسن الإنابة - قصة شعرية مقتبسة من حديث الثلاثة الذين تخلفوا عن مشهد تبوك. (١٩٣٢).

٢ - لفظ العبادة، وهل يصلح إطلاقه لغير الله. - نشر باسم (بعض علماء الشباب بالقرويين)، وهو في ٢٠ صفحة من الحجم الصغير. (١٩٣٤).

٣ - العرش المغربي بمناسبة الذكرى السابعة لجلوس الملك محمد الخامس على العرش (١٩٣٤).

٤ - مفاخر العلويين: وهو موجز عن تاريخ الدولة العلوية الشريفة وأعمالها بمناسبة الذكرى الثامنة لجلوس الملك محمد الخامس على العرش: ملحمة شعرية (١٩٣٥).

المستوى الثاني : مؤلفات صدرت قبل الاستقلال، وهي:

١ - الحركات الاستقلالية في المغرب العربي.

٢ - النقد الذاتي.

٣ - الحماية في مراكش من الوجهتين التاريخية والقانونية.

٤ - حماية إسبانيا في مراكش من الوجهتين التاريخية والقانونية.

٥ - السياسة البربرية في مراكش: عناصرها ومظاهر تطبيقها.

٦ - المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى .

المستوى الثالث : مؤلفات كتبت قبل الاستقلال ونشرت بعده، وهي :

١ - أبو بكر بن العربي في أحكام القرآن، وعليه تعليقات على كتاب الأحكام، وقد كتب في المنفى وأعده للنشر عبدالرحمن الحريشي.

٢ - نداء القاهرة .

٣ - حديث المغرب في المشرق .

٤ - أساطير مغربية ومُعرَّبة (شعر قصصي نشر مرتين في كتاب مستقل، ثم في ديوان علال الفاسي) .

٥ - أناشيد وطنية (نشرت مرتين في كتاب مستقل، ثم في ديوان علال الفاسي) .

٦ - رياض الأطفال (شعر نشر مرتين في كتاب مستقل، ثم نشر في ديوان علال الفاسي) .

المستوى الرابع : المؤلفات الجامعية، وهي التي تضم طائفة من المحاضرات التي ألقاها في الجامعة المغربية بعد الاستقلال، وهي:

١ - مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها.

٢ - مدخل في *النظرية العامة لدراسة الفقه الإسلامي* ومقارنته بالفقه الأجنبي.

٣ - المدخل لعلوم القرآن والتفسير.

٤ - تاريخ التشريع الإسلامي.

المستوى الخامس : مؤلفات تضم محاضرات عامة أو مقالات، وهي:

١ - دفاع عن الشريعة.

٢ - حفريات عن الحركة الدستورية بالمغرب قبل الحماية.

٣ - مهمة علماء الإسلام.

٤ - الديمقراطية وكفاح الشعب المغربي من أجلها. [يضم أيضًا دراسة عن تاريخ الصحافة المغربية نشرت في جريدة (العلم) بمناسبة الذكرى الفضية لتأسيسها - سبتمبر ١٩٧١].

٥ - الحرية. [صدر كتيب (الحرية) في عام ١٩٥٩، ويضم محاضرة، وصدر في عام ١٩٧٧ كتاب ثانٍ بعنوان (الحرية)، وهو أحد عشر مقالاً نشرت في ملحق جريدة العلم الأسبوعية].

٦ - نضالية الإمام مالك ومذهبه .

٧ - في المذاهب الاقتصادية .

٨ - دفاعًا عن الأصالة .

٩ - الإنسيَّة المغربية .

١٠- واقع العالم الإسلامي .

١١- نحو وحدة إسلامية (محاضرة ألقيت في رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ونقلها عبدالرحمن الحريشي من الشريط).

١٢- الإسلام وتحديات العصر .

١٣- المدرسة الكلامية وآثار الشيخ الطوسي. [محاضرة مرقونة سبق نشرها في مجلة (البحث العلمي) - العدد ١٦] .

١٤-العودة إلى النبع الصافي.

١٥- الإسلام ومتطلبات التنمية في مجتمع اليوم (مرقونة، قدمت إلى ملتقى الفكر الإسلامي بوهران في الجزائر عام ١٩٧١).

١٦- وادي المخازن في ذكراها الأربعمائة.

١٧- الغرة في أصول الفقه. (محاضرة ألقيت في كلية الحقوق بالرباط، وهي آخر ما صدر من أعمال علال الفاسي - أبريل ١٩٩٥).

المستوى السادس : مؤلفات تضم التقارير المذهبية السياسية، وهي :

١ - عقيدة وجهاد .

٢ - منهج الاستقلالية .

٣ - معركة اليوم والغد .

٤ - دائمًا مع الشعب .

المستوى السابع : مؤلفات تضم مقالات نشرت في الصحف، وهي:

١- كي لا ننسى.

٢- دفاعاً عن وحدة البلاد.

٣- رأي مواطن.

٤- بديل البديل.

المستوى الثامن : الديوان، وقد جمع وصدر بعد وفاته، ويقع في أربعة أجزاء، نشر الجزء الأول بتحقيق حسن الطريبق، والأجزاء الثلاثة الأخرى بتحقيق عبدالعالي الودغيري. وجزء كبير من شعر علال الفاسي كتبه في المنفى، ونشر قصائد منه في بعض المجلات بعد الاستقلال.

وصدر لعلال الفاسي باللغة الفرنسية، كتابان هما:

١ - الكتاب الأحمر (عن القضية الموريتانية).

٢ - الحقيقة عند الحدود المغربية.

وخلف علال مجموعة من الكتب، بعضها مُعدٌّ للطبع، تحمل العناوين التالية:

١- أبيات الأبيات والكلمات. عن ديوان أبي القاسم ابن هاني متنبئ المغرب.

٢ - في الأفق الإنساني. [مقالات نشرت في مجلة [رسالة المغرب) تحت هذا العنوان].

٣ - هل الإسلام في حاجة إلى فلسفة ؟.

٤ - مستندات لتاريخ المقاومة المغربية.

كما خلف ثروة من الأبحاث والدراسات والمقالات الطويلة والقصيرة، والخطب، والرسائل، والمقابلات الصحافية التي أجريت معه، والمقدمات التي كتبها لبعض المؤلفات المغربية، مثل كتاب (**هذه مراكش**) لعبد المجيد ابن جلون الذي صدر في عام ١٩٤٩، عن مكتب المغرب العربي بالقاهرة، وكتاب (**الاستعمار الفرنسي في مراكش**) لمحمد عبدالعاطي جلال الذي صدر في عام ١٩٥٤ عن مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، والطبعة الثانية لكتاب (**صراع المذهب والعقيدة في القرآن**) لعبدالكريم غلاب، والمجموعة القصصية لخناثة بنونة (**النار والاختيار**)، والمسرحية الشعرية (**المعتمد ابن عباد**) لحسن الطريبق. ومعظم هذه الدراسات والمقالات تصلح للنشر في رسائل مستقلة إحياء لتراثه، وتعميماً للفائدة، على غرار الرسائل والكتيبات التي صدرت في حياته أو بعد وفاته، وأذكر من هذه الدراسات المعمقة التي تستحق التعجيل بنشرها:

١ - مستقبل العربية.

٢ - موقف محمد عبده من الشبه والتشبيه.

٣ - فلسفة العقاد الدينية الاجتماعية.

٤ - لا شيوعية ولا رأسمالية.

٥ - لا جمود ولا جحود. (العدد١/ السنة١/مجلة دعوة الحق).

٦ - سيبويه والمدرسة الأندلسية المغربية في النحو. (وقد نشر هذا البحث في ملحق جريدة العلم الأسبوعي في مايو ١٩٧٤، وكان علال قد ألقى هذا البحث أمام ندوة نظمت في طهران بمناسبة ذكرى سيبويه قبيل وفاته).

٧ - العلاقة بين الفلسفة والدين .

٨ - أثر العقيدة في المجتمع .

٩ - تحريف الدلالة.

١٠- التصوف الإسلامي بالمغرب.

١١- الفاضل بن عاشور (وهو آخر ما نشر له في

مجلة دعوة الحق عام ١٩٧٠).

ويضاف إلى هذه الحصيلة، تعليقاته على طبعة الحاج المهدي الحبابي للجزأين الأول والثاني من تاريخ ابن خلدون الذي أخرجه بالاشتراك مع عبدالعزيز بن إدريس.

أما أهم **المجلات المغربية** التي نشرت فيها هذه الأبحاث والمقالات، فهي:

أولاً : قبل الاستقلال :

١ - السلام. ٢ - المغرب الجديد.
٣ - رسالة المغرب.

ثانياً : بعد الاستقلال :

٤ - دعوة الحق ٥ - تطوان
٦ - رسالة الأديب. ٧ - التربية الوطنية.
٨ - اللسان العربي ٩ - الإيمان.
١٠- البينة . ١١- البحث العلمي.
١٢ - آفاق . ١٣- التضامن الإسلامي.

والجدير بالذكر أن اثنتين من هذه المجلات، وهما (البينة) و (التضامن الإسلامي)، أشرف علال الفاسي على إصدارهما، وكان مسئولاً عنهما؛ الأولى صدرت عن وزارة الدولة المكلفة بالشئون الدينية التي عين علال على رأسها في مطلع الستينات، والثانية صدرت عن (الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي) التي أنشأها علال قبل وفاته بسنتين.

وبالإضافة إلى هذه المجلات، فإن العديد من الصحف المغربية تحتفظ بكتابات علال الفاسي، مثل: العلم، والاستقلال، وصحراء المغرب، والحُسْنَى، من صحف ما بعد الاستقلال، والأطلس، والحياة، والريف، والحرية، والأمة، من الصحف التي كانت تصدر في عهد الحماية الاستعمارية.

ولابد من الأخذ في الحسبان هنا، أن علال الفاسي كان ينشر كتاباته بين الحين والآخر في مجلات عربية وإسلامية تصدر في بعض العواصم العربية. كما كان يكتب في فترة ما قبل الاستقلال في صحف عربية، خاصة في مصر، ومنها مجلة (المسلمون) لصاحبها الدكتور محمد سعيد رمضان، وكانت لسان (الإخوان المسلمون)، وتصدر من القاهرة، ثم في جنيف، ومجلة (الأصالة) الجزائرية، ومجلة (رابطة العالم الإسلامي) ومجلة (المنهل) السعوديتان .

أما المحاضرات الدينية التي ألقاها علال في إطار الدروس الحَسَنِيَّة الرمضانية، التي تنظم كل سنة في القصر الملكي بالرباط تحت رئاسة الملك الحسن الثاني، فهي بحوث علمية قيمة يمكن أن تنشر في رسائل وكتيبات مستقلة، أو تجمع في كتاب قائم بالذات. ومن حسن الحظ أن هذه الدروس منشورة في سلسلة الكتب التي أصدرتها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية المغربية، وواحد منها منشور في مجلة (الإيمان).

وكان علال قد اختار في حياته عنوانًا لسلسلة ثقافية جديدة أسماها (سلسلة الجهاد الأكبر)، نشر فيها عددًا من مؤلفاته، كما نشر تحت هذا العنوان الطبعة المغربية لكتاب (معالم في الطريق) لسيد قطب في عام ١٩٦٥. ونشرت بعض محاضراته مرة تحت هذا العنوان، ومرة تحت عنوان (محاضرات وأبحاث علال الفاسي). وفي هذه السلسلة نُشرت المحاضرتان (الإنْسِيَّة المغربية) و (واقع العالم الإسلامي) في كتيب واحد يحمل رقم ١٣ من (سلسلة الجهاد الأكبر). وقد صدر ضمن سلسلة الجهاد الأكبر ١٢ كتابًا.

وقامت (مؤسسة علال الفاسي) التي يديرها السيد عبدالرحمن الحريشي، بجهود كبيرة في حفظ التراث المكتوب لعلال الفاسي واستخراجه من بطون الأوراق والدوريات والأشرطة. وقد أصدرت المؤسسة ١٧ كتابًا بعناية مديرها.

وأرى شخصيًا أن يعمل على أن تنشر في (سلسلة الجهاد الأكبر) ذات العنوان الموحي، جميع الأبحاث والمقالات، والمحاضرات التي لم تنشر بعد.

وحبذا لو قامت (مؤسسة علال الفاسي)، وبالتعاون مع بعض دور النشر الكبرى، بنشر مؤلفات علال في مجلدات تحمل عنوان (الأعمال الكاملة لعلال الفاسي)، على أن تضم هذه الموسوعة ما طبع من الكتب وما لم يطبع منها. وتكون مناسبة لجمع كتاباته كلّها جمعًا موثقًا.

مراجعات

الإسلام والنظام العالمي الجديد

حامد الرفاعي

محمد علي بن حسين الحربي
كلية الشريعة
قسم الاقتصاد الإسلامي - أبها

الرفاعي ، حامد أحمد / الإسلام والنظام العالمي الجديد .- مكة المكرمة : رابطة العالم الإسلامي ، ١٤١٥هـ (سلسلة دعوة الحق ١٤٦) .

صدر هذا الكتاب القيم تحت الرقم (١٤٦) من سلسلة دعوة الحق التي تصدرها رابطة العالم الإسلامي، وقدم المؤلف لكتابه بعرض صورة قاتمة للوضع القائم في عالم اليوم اجتماعياً وسياسيّاً وخلقياً فالمجتمع البشري بدوله المتعددة يعاني من الصور المفزعة للإفساد في الأرض يمارسها الإنسان ضد أخيه الإنسان وعلى النبات والحيوان والهواء والبيئة ، فلابد والحال هذه من مسارعة المصلحين لتقديم وسائل الإصلاح والنصح والإرشاد ولا سيما بعد انهيار الاتحاد السوفيتي والدعوة الغربية لنظام عالمي جديد يدعو للمزيد من الديمقراطية والحرية وكرامة الإنسان، وأشار المؤلف إلى أن فكرة النظام العالمي الجديد قديمة في العلاقات الدولية الاقتصادية والسياسية، وقد كانت أصابع المصلحين تشير إلى أن البديل المنطقي لكل الأيديولوجيات الموجودة على الأرض اليوم إنما هو الإسلام والإسلام وحده، ومن هنا جاء هذا الكتاب وصفة طبية علاجية ودعوة إصلاحية جادة يدفعها المؤلف إلى هذا العالم الحائر مؤيدة بالبراهين الشرعية والعقلية والسياسية قياماً بالواجب الذي يفرضه الإسلام على أتباعه بحكم وسطية هذه الأمة ومنعاً للسفينة البشرية من الغرق والإمساك بتلابيب البشرية من الانتحار الجماعي، وتدمير الموروث البشري الذي هو إرث الإنسانية كلها دون تمييز بين المسلمين وغيرهم .

ثم ازدان الكتاب بثلاث مقدمات مهمة لشخصيات من كبار العاملين في حقل الدعوة الإسلامية، وهم : محمد معروف الدواليبي، عبدالله نصيف نائب رئيس مجلس الشورى وعبدالله بن بيه ؛

وتناولت مقدمة الدواليبي سرداً تاريخيّاً للجهود الإسلامية المبذولة لإقامة نظام عالمي جديد بعد دعوة الأمم المتحدة لنظام عالمي جديد عام ١٩٧٤م معلنة فشل النظامين الرأسمالي والشيوعي في إقامة السلام على الأرض، ودعوة اليونيسكو المماثلة عام ١٩٧٥م و١٩٧٧م لاقتراح نظام عالمي جديد يبنى على الأسس الثلاثة التالية [وحدة الجنس البشري - التخطيط العقلاني للتنمية الاقتصادية - عدالة التوزيع] .

ويؤكد الدواليبي أن هذه الأسس الثلاثة مكرسة ومقننة بشكل كامل في الشريعة الإسلامية .

وقد أثبت في تقديمه للكتاب وسطية الإسلام وقدرته على تحقيق السلام العالمي لا سيما وقد نجح الإسلام سابقًا في منع الحروب الدينية وحماية اليهود والنصارى من بعضهم ليعيشوا جميعًا في ظل دولة الإسلام الوارفة ولا سيما في وثيقة المدينة التي كتبت بعد الهجرة مباشرة والتي حمت اليهود من الرومان كماحمت نصارى نجران من يهود اليمن .

وأكد أن الإسلام بصفاته الأساسية [العالمية - الإنسانية - دين الحياة] هو أفضل نظام يحقق العلاقات السلمية الدائمة بين دول العالم في النظام العالمي الجديد . لأن الفقه الإسلامي يقرر قيام العلاقة الإنسانية رغم اختلاف المعتقد فلا إكراه في الدين ولا عدوان على أحد فالخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله .

وبين أن الإسلام يقدر العقل البشري ولا يقدسه، ويرضى بتحكيمه فيما لا نص فيه . وأن الدولة الإسلامية

عاشت وسيطرت على كل العالم المتمدن ،فلم تقهر أحداً وتجبره على اعتناق ما لا يؤمن به .

وتلت مقدمة الدواليبي كلمة عبدالله عمر نصيف نائب رئيس مجلس الشورى السعودي والأمين العالم السابق لرابطة العالم الإسلامي .

فأشار إلى أن فكرة النظام العالمي الجديد في حقيقتها إنما هي إحكام سيطرة الغرب على الشعوب الفقيرة لتأمين التفوق الاقتصادي والثقافي والاجتماعي بعد انهيار المعسكر السوفيتي . وقد أكدت معطيات النظام الجديد التوجه العلماني (اللاديني) لتوجيه السياسات الاجتماعية في الدول الغنية والفقيرة على حد سواء .

وبين أن الدول الصناعية لا هم لها إلا مكانتها الاقتصادية وقوتها العسكرية مهما تفاقمت مشكلاتها في الجرائم والأمراض النفسية والمخدرات مادامت المشكلات لا تحول بين هذه الدول وهيمنتها على العالم الثالث . مما يؤكد وجود فاصل كبير بين المسيطرين على عالم رأس المال والمشرفين على قضايا التربية والإعلام والمهتمين بقضية القيم والاستقرار الاجتماعي . وجاء طرح النظام العالمي الجديد، واستبشر الناس بأن هذا العالم مقبل على حقبة من التغيير الإيجابي لصالح كرامة الإنسان وحقوقه وضمان العدل الاجتماعي والسياسي في العلاقات الاجتماعية والفردية على مستوى المجتمعات والدول والشعوب . ولا شك أن الإسلام العظيم يحوي كل الأطر النظرية لتقنين نظام دولي يحقق الأمن والعدل والسلام .

أما كلمة عبدالله بن بيه فقد كانت شديدة التركيز أشار فيها إلى السنن الكونية والاجتماعية التي تخضع لها المجتمعات وفق قوانين الاجتماع – الخلدونية – والتي لابد للمسلمين من فهمها وتوظيفها لصالح تطوير مجتمعاتهم .

لما أكد فيها على طريقة المؤلف بضرورة قيام – النخبة – من المفكرين الإسلاميين بتحليل هذه السنن ونقلها إلى الواقع المحلي والعالمي، وإيجاد الصيغة والتكييف الفقهي للعلاقة المقترحة بين المسلمين وأركان النظام العالمي الجديد . ثم أشار إلى قيام المؤلف بتحليل تلك العلاقة واستخلاص قوانينها من خلال الطرق المخبرية – التجربة الميدانية – وقدرة المؤلف على الدمج بين الأسلوب العلمي كأستاذ للكيمياء والأسلوب السياسي، بحيث يبدو الكتاب وكأنه خلاصة التجربة – الواقعية البراجماتية – [النتائج العملية الملموسة للتجربة] . فالمهم هو النتيجة العملية بعيداً عن التهويم النظري في عالم الأيديولوجيات .

لقد أراد المؤلف من خلال كتابه – الاعتراف بالنظام العالمي الجديد – من منطلق – ذرائعي – إذ ليس بوسعنا الانكفاء عن هذا العالم والاعتزال في سقف الجبال ولابد من مخالطة الناس والصبر على أذاهم، وتقديم المثال الإسلامي النموذجي للعالم المعاصر كدليل على تعايش المجتمع الإسلامي مع كل منتجات العصر بأسلوب توفيقي وإيضاح الرأي الإسلامي في ما يضر وما ينفع من منجزات الحضارة الغربية، وقدم المؤلف التجربة السعودية كونها تجربة مجتمع مسلم ناجح حقق المواءمة والتوافق بين الأصالة والمعاصرة في كل الجوانب الحياتية، وتتمتع المملكة العربية السعودية بثقل دولي لو أضيف إليه نماذج أخرى من العالم الإسلامي لاستطاعوا فرض رأي إسلامي لابد من احترامه دولياً أو على الأقل استشارته في جليل الأمور وحقيرها .

إن الإنسانية تعيش خللاً ولابد للمسلمين من المشاركة في علاج هذا الخلل بالتفكير في مستقبل الإنسان على كوكب الأرض .

بعد هذه المقدمات الأربع أوجز المؤلف فصول كتابه الستة تمهيداً لبسطها، وسأحاول الإيجاز والاختزال في عرض الأفكار الأساسية باستعراض فصول الكتاب .

الفصل الأول : يتناول هذا الفصل **الاتجاه العالمي إلى سباق التسلح بعد حربين عالميتين**، فتحولت الأرض إلى عبوة كبيرة محشوة بفتيل الفناء المرعب – فما سن مولود يولد إلا وله من مخزون التسلح العالمي نحو ٤ أطنان من المتفجرات – قبل تأمين الغذاء والدواء والسكن المناسب للآدمي . فالأرض كلها واقعة تحت أسباب الفناء الجماعي التي ابتكرها رواد تقنية الإبادة والرعب النووي . على حساب النمو الحضاري .

ويبدو أن الغرب مقتنع بالاستحالة العقلية لاستخدام السلاح النووي، لأن مجرد التفكير فيه إنما هو انتحار وقتل جماعي للجنس البشري والحياة على هذا الكوكب، ومن هنا نجح العقلاء في تحقيق بعض التقدم السياسي لصالح العنصر الإنساني والتقدم الاقتصادي والثقافي والحد من التسلح النووي، واستخدام الذرة في الأغراض السلمية كما أخذت دول العالم تخطط وتبتكر صوراً من التعاون والتكامل الاقتصادي والثقافي والعلمي في إطار التكتلات الإقليمية والقارية والعالمية التي نرى فيها صورة تطبيقية لحركة التدافع والمفاعلة البشرية وهي من سنن الله الكونية **﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾** البقرة / ٢٥١ .

وأمام هذا الواقع المؤلم؛ فإن المسلمين مطالبون بإبراز استراتيجيتهم الموازية ؛ بل المتفوقة لقيادة هذه البشرية في خضم التصارع والتدافع الاستراتيجي العالمي.

ومن البداية يعلل المؤلف تنحية العالم الإسلامي عن قيادة سفينة البشرية إلى أمرين اثنين هما :

١ - سبب خارجي - الجحود والنكران والعداوة من الغرب لتراثنا الحضاري ومحاولة طمس فضائل الإسلام وسوابقه الحضارية .

٢ - سبب داخلي - وهو العجز الذاتي والواقع المتردي حضارياً وثقافياً وسياسياً للعالم الإسلامي .

والسبب الأول هو أمر طبيعي لأنه من السنن الكونية **﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى﴾** ... إلخ وهو لا يتطلب منا أكثر من فهمه ميدانياً والإحاطة بأساليبه المعاصرة في المكر والكيد ، والتعامل معه بالمستوى نفسه من المكر والكيد ولكن وفق معاييرنا وثوابتنا الخلقية .

أما السبب الثاني فهو الأمر المثير للقلق - وهو غياب وحدة الفهم والتصور لمادة الإسلام التطبيقية - البراجماتية التي أشار إليها عبدالله بن بيه في المقدمة - وغياب هذا الفهم جعل صفة المسلمين العامة - الغثائية الواهنة - ولا سيما بعد غياب التطبيق العملي للإسلام في حياة المسلمين.

فلابد إذن من تكوين فهم جديد - شمولي ومعاصر - للإسلام وفهم أساليب ممارسته، وهو ما عبر عنه المؤلف [فهم الحق وفن ممارسة الحق] وفي غياب هذا الفهم؛ فإن العالم الإسلامي يعاني من الحرائق المستمرة منذ بداية القرن العشرين ؛ بل منذ ستة قرون . ومازالت هذه الحرائق تتكاثر وتتسع، واستشراف المستقبل يزيدنا عبوساً لأن الدلالة تشير إلى مزيد من التردي والانهيار، والمؤلف يحاول تدارك الموقف وقبل وقوع - الفاس في الراس - يقترح ثلاثة مشروعات عاجلة ؛ هي :

أولاً - مشروع التكامل الثقافي بهدف إعادة صياغة المثقف المسلم بشكل شمولي - غيباً وشهادة دنيا وآخرة - أصالة ومعاصرة - يعيد التوازن الفطري للمسلم ويزيل حالة الانقسام والاضطراب والتمحور الثقافي للوصول إلى الوحدة الثقافية والانفتاح الثقافي والتكامل المعرفي، ولابد لتحقيق التكامل الثقافي من إعداد برنامج [الجدولة الموضوعية والزمنية لحركة تنفيذ المشروع] وهذا يستدعي وجود [النخبة] التي تخطط وتصوغ المفاهيم وفق فهمها للمواقف الاستراتيجية العالمية، وتستلزم أن يكون البرنامج في رعاية جهة مسئولة .

ثانياً - مشروع هيئة حكماء المسلمين . هيئة الحكماء هي النخبة العالمة العاقلة المفكرة والقادرة على بلورة القيم والمفاهيم في صيغ سيرة يفهمها المسلمون في شتى بقاع الأرض . [إنهم الطائفة التي يتحقق بها وسطية الإسلام ثقافياً وميدانياً في مجال البناء الإسلامي وفي مجال الإسهام الحضاري في نظام عالمي آمن مستقر].

ثالثاً - توحيد نقاط الفهم المشترك بين مختلف العاملين في حقل الدعوة الإسلامية وضرورة الاتفاق على الأهداف الاستراتيجية وقاعدة فهم متطلبات العصر وفق ثوابتنا العقدية وقيمنا الثقافية .

الفصل الثاني : واقع الأمة الإسلامية وأهداف الدعوة وميادينها .

عرض المؤلف هنا خطاً حضارياً لسمات التشريع الإسلامي والنجاح الحضاري الذي حققه الإسلام قبل انهيار الدولة الإسلامية وشيوع الفكر العلماني في حياة

الأمة حتى وصلنا إلى مرحلة الغثائية الواهنة، وإذا كان السبب الأساسي هو ضعف الالتزام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فبوسعنا تلمس أسباب ثلاثة أخرى إلى جوار السبب الرئيس ، وهي :

١ – جهل السواد الأعظم من المسلمين – المثقفين خاصة – بشمولية الإسلام وكونه منهج الحياة. فحصل التناقض والاضطراب حتى بين العاملين في صفوف الدعوة والإصلاح – الرسمية والشعبية – وحصل التناقض بين القومي والإسلامي – وتضخيم التناقض الوهمي بين الفقه الدياني للأفراد القائم غالبًا على العزيمة والفقه الدياني للدولة القائم على الرخصة والتيسير .

٢ – الخصومة المفتعلة بين بعض الدعاة وأصحاب القرار السياسي، وهو ما زرعه الاستعمار الغربي ويراهن دائمًا على استمرار هذه الخصومة بزرع عدم الثقة بين الفريقين .

٣ – عدم وضوح فقه العلاقات الدولية لدى كثير من أبناء الأمة وعدم استيعابهم فقه التعايش البشري والتنوع في الأديان والأعراق والأجناس ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾ فالخلاف واقع ولكنه لا يستلزم بالضرورة الخصومة والحروب .

ثم حددت ميادين الدعوة الإسلامية بثلاثة ميادين [الإقليمي – العالمي – إعمار الأرض ونشر العدل والسلام] ففي الميدان الإقليمي تستهدف الدعوة الإسلامية تحقيق – الأمن الثقافي [الاقتصادي – العدل والكفاءة في الحكم] أما في الميدان العالمي فلابد من التأكيد على عالمية الإسلام وعمومه وتبليغه للناس كافة وإيضاح جذور هذه العالمية في الفقه الإسلامي، وإبراز المهنية الفقهية الإسلامية على كل ما في القانون الدولي من مبادئ ونظريات . أما مجال إعمار الأرض وإقامة العدل والسلام ؛ فإن مهمة الدعوة الإسلامية هي تحقيق التكامل بين القيم والسلوكيات واستخدام الماديات والوسائل والمهارات – وضع الإنسان من استخدام العلوم الطبيعية بعقول الأطفال والوحوش . ويحشد المؤلف هنا طائفة مهمة من الآراء والأقوال لعقلاء العالم الأوربي وقادته [المستر إيدن – جورباتشوف – الكسيس كاريل روزفلت – كارتر – نيكسون ...] التي جاءت مطابقة لما يعرضه الإسلام ويأمر به ، ثم عرض الكتاب نماذج من عالمية الإسلام ومبادئ العلاقات الدولية فيه [عموم الدعوة – لا إكراه في الدين – العدل في الرضا والغضب ...] .

ثم يعرض المؤلف لوسائل الدعوة الإسلامية [برامج أسرية للأطفال – حلقات القرآن الكريم في المساجد – تعليم الكبار في المساجد – خطبة الجمعة – رمضان المبارك – ندوات الحج ... إلخ] .

ويختم الفصل بنصائح عامة للداعية – بالتزام القول الحسن – وتخير الزمن المناسب ومراعاة الظروف والاهتمام بمصالح الناس الدينية والدنيوية – حشد الأدلة وأقوال العقلاء وحقائق الكون العلمية والترغيب بها في مجال الدعوة .

الفصل الثالث – هذا الفصل دعوة للمشاركة الإيجابية في معالجة قضايا العالم وبيان أن العزلة والتقوقع ليست سلوكًا إسلاميًا ، فلابد من مشاركة المسلمين في ترشيد السلوك البشري وتوجيهه وهي مهمة الدعوة الإسلامية في المجال الاستراتيجي ، وقد انفرد المؤلف بتعريف الاستراتيجية الدعوية بأنها [فن ممارسة الحق] أو هي بشكل موسع [نظريات محكمة وخطط موضوعية دقيقة وقيادة مخلصة فذة تملك كفاءة الإعداد ومهارة التنفيذ] ثم يرسم معالم هذه الاستراتيجية في المجال الداخلي والعربي والإسلامي والعالمي .

ويعرض خطة البناء في المجال الداخلي [بناء الفرد فكرياً وثقافياً وسياسياً وجهادياً وأمنياً وإعلامياً] وأبرز نقاط هذه الخطة – إبراز الفرق الدقيق بين تحقيق الولاء البشري لسلطان الله تعالى – نظام الجزية والعهد والأمان – وبين حمل الناس على اعتناق الإسلام . فالأولى واجبة السعي والتحقيق والثانية واجبة الدعوة والتبليغ من لدنا وتخضع للرغبة والاختيار من لدن الآخرين ﴿لا إكراه في الدين﴾ .

أما في المجال العربي فيجب أن يتقن الدعاة فهم العلاقة بين العروبة والإسلام – الإسلام دين لغته العربية – وطرح مفهوم معاصر لصيغة الوحدة العربية من خلال

تطوير الجامعة العربية، وتشجيع الفكر الوحدوي النابع من فكر الأمة ووضع الدراسة الدقيقة لتحقيق السوق العربية المشتركة . أما في الساحات الإسلامية والعالمية فلابد من الاستفادة من آخر منجزات التقنية – وفهم النشاطات الدولية لمراكز القوى السياسية والاقتصادية وفهم استراتيجيتها والاستفادة من كل الطاقات المتوافرة في مجال تصنيف المعلومات وبرمجتها .

الفصل الرابع – الإسلام والنظام العالمي .

عرض الكتاب حاجة الناس تاريخياً لنظام عالمي [جمهورية أفلاطون – حلف الفضول – عصبة الأمم – هيئة الأمم] وذكر فشل الأمم المتحدة في تحقيق الأمن والسلام، ومطالبة زعماء العالم الثالث بتغيير النظام العالمي لصالح الدول الفقيرة [قضية مديونية الدول النامية] – وتبلورت هذه الأفكار بمذكرة – اليونيسكو – للأمم المتحدة ١٩٧٧م – [أمن وسلام البشرية – التنمية – عدالة التوزيع] وقد منعت سياسة الاستقطاب وسباق التسلح من تحقيق شيء من هذه الأهداف وانقسمت الأوساط الثقافية إلى فريقين – طرح أحدهما الإسلام على أنه الخطر الوحيد على الحضارة الغربية بعد انهيار الشيوعية بينما طرح الفريق الآخر بعقله وحكمته وجوب الاهتمام بالإسلام وفاعليته في النظام الدولي الجديد .

ويتوقع المؤلف أن تطول مدة المخاض واعتماد النظام الدولي الجديد على الفقه الإسلامي ، فهناك قضايا فكرية ونزاعات إقليمية لابد من إعادة ترتيبها في أذهان صناع القرار .

ولا شك أن العوامل المؤثرة في آليات تشكيل النظام العالمي الجديد [العامل البشري – العامل الثقافي – العامل الاقتصادي] ولابد للدولة التي تود امتلاك الكلمة المسموعة من تحقيق أمنها [الاجتماعي – الثقافي – الاقتصادي] .

والأمة الإسلامية رغم ما تعانيه من واقع مؤلم تستطيع أن تقدم للعالم من مختزنها الفقهي مشروع ميثاق عالمي يضمن للناس [العيش بسلام – العدل والرضاء – الأمن والسلام العالمي] عبر النظرة الإيجابية للإنسانية عامة فكل المؤشرات الفكرية والسياسية تؤكد أن القرن القادم – قرن التواصل والتحاور الثقافي – التدافع الثقافي ومن واجبنا كمسلمين أن نطرح ما عندنا بالمحاورة بالحسنى، وإفهام الناس موقف الإسلام من الديانات الأخرى . وهذا لا يمكن القيام به إلا بعد إنهاء ظاهرة التناقض الثقافي واضطراب وحدة الخطاب السياسي في أوساط أمتنا الثقافية والسياسية تلك الظاهرة الخطيرة التي تشكل عامل استنزاف وإجهاض للطاقات المتطلعة نحو مستقبل أفضل يعيد للمسلمين خيريتهم ومكانتهم بين الأمم . فلابد من تحذير العالم من خطورة هجر القيم الربانية التي ارتضاها الله سبحانه وتعالى للإنسانية وخطورة السعي المحموم لامتلاك السلاك النووي الذي يقتنع أكثر مالكيه باستحالة استخدامه عسكرياً لأنه يشكل الدمار الماحق للغالب والمغلوب . ولابد من توجيه النفقات المعدة لبند التدمير والهدم إلى ساحات التنمية الاقتصادية والرقي الإنساني فالعالم اليوم كما يبدو يميل إلى لغة الفضائل والحوار التي بدأت تتقدم على لغة الرذائل والدمار . ولابد لنا كمسلمين من الاستفادة من هذه الظروف الدولية لتقديم الإسلام لهذا العالم . وكيف ذلك – تحت عنوانين بارزين هما :

١ – الإسلام يدعو إلى الأحسن .

٢ – نظام عالمي عادل .

حشد المؤلف تحت العنوان الأول – أن الإسلام دين الكون كله ودين الأنبياء كلهم من إبراهيم عليه السلام إلى موسى وعيسى ومن بينهم من الأنبياء عليهم السلام، وهو دين يدعو إلى الحوار ويرفض التسلط الفكري والعقلي – له قيمه الثابتة في الدعوة للإسلام والتعارف والتعايش والمساواة واحترام كرامة الإنسان المستخلف على هذه الأرض، ويؤمن بحرية التدين والاعتقاد وتطبيق العدل في كل المجالات وهذه القيم تحقق توازن المصالح العالمية، وهي ليست أحلامًا وأماني مستعصية على الفهم أو التحقيق فقد نجحت سابقًا في بناء حضارة إسلامية إنسانية، وهي جديرة لو أتيح لها إعادة بناء الحضارة المتدهور في القرن الحالي والقادم؛ أما صفة العدل في نظام الإسلام فهي ما يفتقر إليه النظام العالمي الجديد –

فمعركة السلام وتعايش البشر في ظل العدل والسلام هي المعركة الأخطر لاحتياجها إلى الموضوعية والعقلانية والحكمة والتجرد والاستعداد لإعادة النظر في المناهج البشرية لتنسجم مع فطرة الإنسان الذي يجب إحسان الظن به وتدعيم جانب الخير عند هذا الإنسان واحترام عقله وحقوقه وكرامته ، حيث إن قيم الإسلام ليست محجوبة عن الناس ؛ بل هو دعوة للبشر كلهم للدخول في السلام والإسلام .

الفصل الخامس : في مقدمة هذا الفصل أكد الكتاب أن الإسلام رسالة الله إلى الناس جميعًا عبر الزمان ومع تعاقب الأجيال البشرية، وفق مسميات ومضامين وافقت أحوال الناس وقضاياهم وطبيعة ومستوى العلاقات والمصالح المشتركة بينهم . حتى انتهى الأمر إلى نبينا محمد ﷺ . حيث تنامت العلاقات البشرية وتداخلت مصالحهم الثقافية والاجتماعية فكان منهج الإسلام الكامل – ورسالته العامة – وشريعته التي كانت اللبنة التي تم بها البنيان الرباني عبر النبوات السابقة، ومن هنا كان الإسلام حافظًا أمينًا لتراث الأنبياء السابقين عليهم السلام وقيمهم وشرائعهم ينفي عنها الزيغ والتحريف، ويتمم نقصها السابق بحسب حاجات البشرية المعاصرة .

وقامت حضارة الإسلام على منهج الاستخلاف بالدعوة [العلم والعمل] . [فاعلم أنه لا إله إلا الله – محمد/ ٩] [فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه – الملك /١٥] وحضارة الإسلام قائمة على [الإيمان – العلم – العمل] وأي خلل في هذه العناصر إنما هو خلل في المسيرة الحضارية [كفر عاد – ثمود – فرعون ... إلخ] مع رقيهم المادي والحضاري فإن اختلال عقيدتهم كانت سبب دمارهم . وكذلك الخلل في التوازن المعاصر مؤذن بتدمير حضارة الإنسان ودماره، ويستشهد المؤلف بنصوص لزعماء أمريكين وشيوعيين يتحسسون الأخطار القادمة بسبب الخلل .

جورباتشوف يقول : «انتصاراتنا العلمية والتقنية يقابلها تدهور سريع في القيم والأخلاق فمجتمعنا يعاني من إدمان الخمور ... المخدرات» ، «مجتمعنا يعاني من إهمال العنصر البشري ونحن نعيش التهديد النووي . وغير ذلك من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والروحية» التي أثارها – كتاب جورباتشوف – البيريسترويكا – الذي دق المسمار الأخير في نعش الشيوعية قبيل تشييعها إلى مقابر التاريخ – وقد طرح جورباتشوف في كتابه برنامجًا عالميًا لنزع التسلح وإلغاء السلاح النووي واحترام حق الشعوب وكرامة الإنسان وتسوية مشكلة الديون وغيرها من مشكلات هذا العالم المعقدة .

إذن – الخلل في التوازن الحضاري هو الذي دمر حضارات ما قبل الإسلام وحضارة موسكو الشيوعية والقانون الإلهي نفسه سيسري على حضارة الغرب التي يبدو فيها الخلل واضحًا في صيحات المصلحين – ريتشارد نيكسون – في كتابه الفرصة السانحة – الذي يتوقع أن تخسر الولايات المتحدة تفوقها الاقتصادي نتيجة فشلها في خططها التربوية والتعليمية وفي إعداد الشباب .

كما أنه بات واضحًا تفوق المدارس الخاصة على المدارس الحكومية . والتعليم ينغمس باتجاه لولبي نازل نحو الأمية العلمية والتقنية فالشباب لاهون في الموسيقا الصاخبة وأفلام الجنس وهناك ٣٨ مليون أمريكي لا يحصلون على الرعاية الصحية المناسبة – وهناك في المجتمع الأمريكي طبقة من الأشرار القتلة المجرمين يشكلون خطرًا على أمن المجتمع – بالجريمة والمخدرات .

ثم يدعو الرئيس نيكسون إلى التحرك في ستة مجالات [إصلاح مهنة التدريس – رفع مستوى المدارس – الحوافز – عدم احتكار التعليم – الاهتمام بالتعليم الصناعي – التخفيف من عدد المتخرجين للوظائف المكتبية] . ويتوقع نيكسون في كتابه [١٩٩٩م – نصر بلا حرب] أن يعيد الإنسان تشكيل العالم في نهاية هذا القرن نتيجة تفجر المبتدعات التقنية فعلينا إعادة تشكيله سياسيًا من خلال استراتيجية تستهدف السلام الحقيقي بشرط أن لا يغيب عن ذهننا قضية البعد الروحي للإنسان إن التقدم التقني ما لم يوافقه تقدم سياسي سيؤدي إلى الدمار الشامل . وقد رأينا ما حصل لستالين الذي تساءل عن قوة البابا يومًا ما كم عدد الفرق التي يقودها .

هذه بعض الأفكار التي تدور في عقول

المصلحين من الغرب والشرق فما موقفنا نحن المسلمين من ذلك ؟ فالعالم في ظمأ شديد للعودة إلى القيم الروحية ونوازع الخير وانضباط الأخلاق والسلوك . فعلى المسلمين أن يمدوا أيديهم إلى هذا العالم المنكود بما يملكونه من وسائل النجاة. لدفع الشر والفساد والظلم والطغيان والكبت والقهر .

فإذا أحجم دعاة الخير عن السير في مسيرة الإصلاح سيقاد هذا العالم بالمفسدين من الإباحيين والسكارى والظلمة والمجرمين وغيرهم من دعاة الشر – إباحة الزنى والخمر – مشروعية الشذوذ فلابد من التدخل السريع لإعادة التوازن في السير الحضاري [الإيمان – العلم – العمل] .

وكما أكد المؤلف صحة افتراضاته تاريخياً يقدم الدليل التجريبي على ضرورة هذا التوازن من المختبر ففقدان التوازن في اتحاد الهيدروجين والأكسجين بظروف غير عادية ينتج ماء غير صالح للحياة لاختلاف طبيعة منهج التفاعل . والحمدلله أن الماء الصالح للحياة يخلقه الله سبحانه بقدر معلوم ولا تحتكر صناعته إحدى الشركات الأمريكية واليابانية كما هو شأن المواد الأخرى .

إن المجاعات والمجازر الجماعية – وتلوث البيئة – وتشيرنوبل – والرعب الذي هو سمة العصر إنما هي نتيجة امتلاك الإنسان فرصة الخيار فيها فأفسد وأساء وعبث ، فجاءت النتائج قاتلة مدمرة للوجود الإنساني ﴿**ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها**﴾ فماذا لو أفرط الإنسان في صناعة الماء الثقيل للتطبيقات النووية ؟

إن المعادلة الحضارية تقوم على [الإنسان – الأرض – المنهج الرباني] وأي خلل في المعادلة سيكون نتيجته ماء ثقيلاً أجاجًا – سمًّا زعافًا قاتلاً يفسد ويهلك الحرث والنسل، إذ كل خلل إنما هو عدوان على مبدأ التسخير ومبدأ الهدى العام الذي ينظم علاقة الإنسان بالأشياء ﴿**أعطى كل شيء خلقه ثم هدى**﴾ ومن هنا فشل الإنسان في إعمار الأرض عندما تبنى منهجي (الإلحاد ، العلمانية) مع التسليم بأن التنوع الحضاري في الميادين المادية هو تنوع إيجابي من باب اختلاف ألسنتكم وألوانكم ومحاصيلكم ومناخاتكم (اختلاف أمتي رحمة) لتقوم بين الأمم علاقات التعارف والتكامل والمصالح المشتركة، وهذا التكامل لا يتم إلا بنفي السلبية والتناقض القيمي بين الشعوب [اتباع المنهج الرباني] الذي يحفظ أولاً مقاصد الشريعة الخمسة [الدين – النفس – العقل – العرض – المال] وكل منهج لا يهتم بهذه الأمور فقد حكم على نفسه بالفشل – وليسمح لي القارئ بالخروج قليلاً عن الكتاب – لتدعيم هذا التحليل الرائع الذي تألق فيه المؤلف فقد قرأنا أخيرًا :

قال جورباتشوف : (إن ما يتم الترويج له من خطر المسلمين على السلام والاستقرار الدوليين هو من وحي قوى مشبوهة تسيطر على الإعلام ومراكز صناعة القرار في الغرب) (إن تصوير الإسلام على أنه مصدر للإرهاب هو قول فيه مجافاة للحقيقة والواقع وإن الإسلام دين سلم وتعاليمه تؤكد على التعاون بين الشعوب والأفراد ... وإن البشرية مدينة للإسلام بفترات مزدهرة من تاريخها ، حيث ساد القيم الحقيقية لهذا الدين العظيم وانعكس ذلك على التقدم والرخاء البشري ... إن اتهام الإسلام بالإرهاب منهج يحمل في أحشائه بوادر فتنة كبرى سيرجع فيها التاريخ الإنساني إلى الوراء) (١) .

ثم قال جورباتشوف في كلمة له أخرى مطلع العام الجديد ١٩٩٥م مبينًا حظ الإنسان من الحضارة المعاصرة: لقد حققت الحضارة تقدمًا هائلاً ولكن هذا التقدم لم يقم بشيء يذكر في تحسين حياة الإنسان ؛ بل إن حياة الناس في العديد من بلدان العالم قد أصبحت أقسى من قبل . كما أن الدول الصناعية برغم التطور الهائل لم تحسن النوعية العامة لحياة الإنسان، فالعاطلون عن العمل يزداد عددهم والمشكلات تزداد عمقًا واتساعًا يعانيها ثلثا سكان العالم . ثم يمضي جورباتشوف قائلاً : (إننا نجد أنفسنا في قلب معركة روحية كبيرة ليست بالبعيدة عن الثورات العظيمة في الماضي ولقد حان الوقت للمضي بكل شجاعة، ويجب أن نضع الإنسان في مركز التطور والتنمية وهو المكان الذي لم يحتله الإنسان بعد

في أي وقت من الأوقات، إذ لم يلعب الجانب الطيب من الإنسان بأي دور قيادي في أي من النظامين الكبيرين في هذا القرن فعند انهيار الشيوعية برهن عدوها اللدود - الرأسمالية - على أن الرأسمالية شديدة التشابه بالشيوعية في كثير من المواقف) (٢) .

(إن الحضارة الإنسانية تقاس بما تقدم من قيم إنسانية أولاً لا من السلع الاستهلاكية التي بنت الحضارة على الثورة الصناعية التي اقتضت وجود أسواق فالاستعمار والطغيان أما حضارة القيم فقد فتح الإسلام لها القلوب بإشاعة العدل والكرامة بين بني الإنسان) (٣).

لقد سئل الدكتور - غرينييه المسلم الفرنسي المعروف عن سبب إسلامه فقال : (لو أن كل صاحب فن من الفنون أو علم من العلوم قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بفنه أو بعلمه مقارنة جيدة كما فعلت أنا لأسلم بلا شك إن كان عاقلاً وخاليًا من الأغراض) (٤) .

ويعلن - ليون روشي - وهو باحث فرنسي مسلم في كتابه [ثلاثون عامًا في الإسلام] : إن هذا الدين الذي يعيبه الكثيرون إنما هو أفضل دين عرفته فهو دين فطري اقتصادي أدبي، ولقد وجدت فيه حل المسألتين [الاجتماعية والاقتصادية] اللتين تشغلان بال العالم الأولى في قوله تعالى ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ والثانية في فريضة الزكاة (٥).

ويلخص رجاء الله جارودي - أسباب اعتناقه للإسلام بأنه يجيب عن كل تساؤلاته .

أ - الإسلام يحترم الديانات السماوية السابقة ويوقر رسلها وأنبياءها .

ب - يُخضع الإسلام العلوم والفنون والتقنيات لقيم الإسلام وتعاليمه السامية ولخير الإنسان .

ج - يشمل الإسلام كل جوانب الحياة بما في ذلك السياسية.

ويقول أيضًا في محاضرته [مستقبل الإسلام في الغرب] : (إسلام عجيب ، أسراره لا تنفد ما انفك يعيد صياغة نفسه ليستمر مَدُّه لا يقف في وجهه شيء وربما يولد من جديد ويزدهر حتى في داخل بُنى النظام السوفيتي نفسه وبالرغم من كثرة قيود هذا النظام وضغوطه) (٦) .

لقد فرض الغرب في كل مكان [نموذج نموه ونموذج ثقافته] نهب للثروات - استغلال موارد الشعوب لصالح الغرب وحده - خمس سكان الأرض - والإنتاج لهذه الأقلية فقط والإنتاج للتصدير لا فرق بين الضار والنافع . لقد أفلس نموذج النمو الغربي كما أفلس نموذجه الثقافي في المزيج من [يهودي نصراني - إغريقي روماني] هذا المزيج الذي يفهم الحضارة على أنها تقدم اقتصادي علمي تقني ليس له غاية إنسانية فأقصى غاياته التسلط العسكري والربح التجاري في ظل هيمنة عالمية تقود العالم إلى بداية الانتحار الجماعي الكوني .

يقول جارودي : إن هذه الثقافة الغربية منذ عصر النهضة - ق ١٨م - قد تصبح أكثر رشاداً بكثير لو انضم إليها التراث العربي الإسلامي . - انتهى كلامي - وأعود إلى الكتاب، حيث يقول مؤلفه (إن الحضارة هي ثمرة التوازن الدقيق بين القيم والمبادئ والأخلاقيات وبين الماديات والوسائل والمهارات في حركة الجهد الإنساني لعمارة الأرض وفق منهج الاستخلاف الرباني هذا المنهج الذي لا ينسب لأحد لأنه منهج رب الناس جميعًا) .

الفصل السادس : هذا الفصل رد على المتشائمين الذين لا يعجبهم التفاخر بالماضي الحضاري للأمة الإسلامية بينما واقعنا المعاصر يمزقه العجز والتبعية والتخلف والجهل مع كثرة الدعوات الإصلاحية التي تقوقعت في تعاليم الإسلام دون محاولة لاكتساب شيء من التغيير والحداثة والتطوير .

هذه المقولة يقولها غير المسلمين ويرددها بعض أبنائنا الذين تحمسوا لفكر الغرب وآثروا التضحية بالمنهج الرباني لتحقيق التقدم بأي شكل كان .

بينما يرى آخرون أن أمتنا الإسلامية انتهت بالدولة العثمانية وبنهايتها تحولنا إلى كيانات ممزقة يحكمها التفسير التآمري الصليبي الصهيوني لكل ما يجري في تاريخنا المعاصر . فالمؤامرة الصهيونية التي أسقطت الخلافة مازالت صاحبة الأمر والنهي في الأحداث السياسية، وقد غابت الخيرية الإسلامية حتى يأذن الله سبحانه بانبثاق الفجر الجديد للكيان الإسلامي القوي

وهؤلاء امتهنوا حرفة الجدل وتصيد الأخطاء لغيرهم من العاملين في الحقل الإسلامي أما هم فلعلهم الطائفة المنصورة التي تمثل جماعة أو شخصًا مجددًا، وكأن الشاهد الحضاري المعاصر للإسلام والمسلمين غائب ككيان سياسي موجود كأفراد وجماعات، ولا وجود لهذه الخيرية على مستوى الساسة والقادة والدول إلا ما يمكن فهمه أسلوب خداع وتمثيل على شعوبها المغلوبة .

وكل هذه الأفكار لا تمثل الحقيقة أبدًا .

فالإسلام مازال موجودًا قويًا ينادي الناس للعدل والإنصاف والتعارف والسلام والحرية والأمن الاجتماعي والسياسي والاقتصادي وكرامة الإنسان والبعد عن الفواحش والاهتمام بالزراعة والبيئة و ... إلى غير ذلك من القيم التي يتلهف العالم لسماعها وتحقيقها . وهي كلها مما تتطلبه حياتنا المعاصرة لا الإلحاد والإباحية والظلم والقتل وإبادة الشعوب ، وقد أكد ذلك عقلاء العالم ومفكروه والمؤامرة موجودة لا شك فيها، ولكن هل ينفعنا لمواجهتها أن نقول . يوجد [مؤامرة – مخطط – عداء – مكر ...] إن الذي ينفع أن نقول ماذا أعددنا لها . وكذلك الخيرية موجودة لا في الأفراد والجماعات ؛ لأن هذا التخصيص اعتداء على فهم الصحابة ومنهجية الإسلام [وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون – الأعراف/ ١٨١] قال ﷺ [هذه لكم وقد أعطى القوم بين أيديكم مثلها] – [ومن قوم موسى أمه يهدون بالحق وبه يعدلون – الأعراف/ ١٥٩] فالآية تتناول القضاء والعدل يعني أنها تشمل الدول أكثر من شمولها الأفراد والجماعات . وبهذا الفهم نقول باستمرار سلطان الله تعالى على الأرض ودولة الإسلام لا تغيب عن الوجود حتى يأتي أمر الله نعم قد ينتابها الضعف والدخن كما في حديث حذيفة ولكن ذلك لا يغيبها ولا يلغي وجودها وحالها من حال حكامها ضعفًا وقوة وعدلاً وظلمًا وصلاحًا وفسقًا، ولكنها على أية حال تبقى دولة مسلمة تمثل شوكة الإسلام ورايته واستمرارية إمامة الإسلام .

وانطلاقًا من هذا الفهم تسقط مقولة غياب الواقع الحضاري المعاصر للأمة الإسلامية فيتساءلون أين هذا الواقع ! ؟ عجيب .. أية غربة يعيشها هؤلاء أم هو التجاهل والتعامي والمكابرة .. أين العدل – ولا تبخسوا الناس أشياءهم – أين إحسان الظن بالمسلم . ؟

أين موضوعية الحوار . ؟

إن هناك نموذجًا فريدًا وقدوة تحتذى لمجتمع إسلامي وحكومة مسلمة دستورها الكتاب والسنة لا يجتمع فيها دينان إنها المملكة العربية السعودية التي هي في حقيقة الأمر امتداد لسلطان الإسلام الحاكم منذ عهد الراشدين والأمويين والعباسيين والمملوكية والعثمانية حتى اتفاق الدرعية بين الإمامين الجليلين المخلصين كما نحسبهم ولا نزكي على الله أحدًا – الإمام محمد بن عبدالوهاب والإمام محمد بن سعود، يرحمهما الله – وكان لاتفاقهما المبارك التوفيق والنجاح فاستعادت الأمة عافيتها في عقيدتها وعبادتها وسلوكها وانتهى أمر هذا الكيان إلى الملك عبدالعزيز آل سعود – طيب الله ثراه – الذي وحد كيان هذه المملكة وأرسى قواعد وأسس الدولة الإسلامية المعاصرة . على أساس شريعة الإسلام المتكاملة القائمة على التوازن الموضوعي بين عالم القيم والمبادئ وعالم الماديات والوسائل والمهارات حتى شمخت صروح هذه الدولة ثقافيًا واجتماعيًا وسياسيًا وأمنيًا وتنمويًا لتكون كما وصفها حسن البنا إذ يقول : (من كان يظن أن الملك عبدالعزيز آل سعود وقد نفيت أسرته وشرد أهله وسلب ملكه يسترد هذا الملك ببضعة وثلاثين رجلاً ثم يكون بعد ذلك أملاً من آمال العالم الإسلامي في إعادة مجده وإحياء وحدته) في رسالته – إلى أي شيء ندعو الناس ص٥٤. ومضت المسيرة المباركة يتلقف رايتها أبناء الملك عبدالعزيز من بعده مؤكدين التزامهم بمنهج الإسلام الخالد والعمل على تطبيق شريعة الإسلام وامتثال قيمة ومبادئه وتعاليمه في كل شأن من شئون البلاد حتى صارت المملكة قدوة تحتذى في كل المجالات التي تتنافس فيها دول العالم، ولا ينكر ذلك إلا جاهل حاقد أو بليد مكابر .

فالنظام السعودي يحترم ويحقق مقاصد الشريعة

في ضرورياتها وحاجاتها وتحسيناتها فـ [الدين - النفس - العقل - العرض - المال] محترمة محفوظة في واقع مشاهد لدى كل من يزور المملكة العربية السعودية . والناس فيها ينعمون باحترام هذه المنظومة الخماسية بصورة مثالية . فالنظام التربوي والمؤسسات التعليمية والعبادات الإسلامية - الصلاة والصيام والزكاة والحج ونظام المعاملات وغير ذلك من جوانب الحياة قد نهضت على أساس من هدى الإسلام وفقهه العظيم - وهذا قبل صدور نظام مجلس الشورى والمناطق ونظام مجلس الوزراء والتقسيمات الإدارية وقبل تشكيل وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، حيث أصبح ذلك النظام المطبق سابقًا مكرسًا بصورة دستورية ونظامية تؤكد التزام النظام السعودي بالإسلام شكلاً ومضمونًا . ثم إنه لا عصمة لبشر بعد رسول الله ﷺ والمجتمع الإسلامي ليس مجتمع ملائكة والعبرة ليست بوجود الجريمة بل بمقدار شيوعها وتساهل المجتمع في أسبابها والتعامل معها .

إن النظام السعودي يمثل استمرار خيرية هذه الأمة وخيرية المنهج الحضاري الإسلامي وواقعيته واستجابته لمتطلبات الإنسان عبر تغيرات الزمان والمكان فالتطبيق الإسلامي ليس أمرًا نظريًا أصبح في ذاكرة التاريخ ؛ بل هو حقيقة ماثلة ونموذجية لكل من أراد الخير والإصلاح .

إلى هنا انتهى عرض هذا الكتاب الرائع بأفكاره الرائعة وبقي هنا بعض التساؤلات التي أتوجه بها إلى عقل المؤلف لإيضاح بعض غوامض الكتاب وإسهامًا في إثراء هذا البحث ومناقشته متمنيًا أن يتسع صدر المؤلف الفاضل لهذا الفضول الذي لا هدف له إلا تعميق أفكار الكتاب وتدعيمها .

وقبل طرح التساؤلات أذكر القارئ بأن المؤلف الذي أصدر كتابه هذا [الإسلام والنظام العالمي الجديد] في صفر ١٤١٥هـ قد صدر له عام ١٤١١هـ / ١٩٩١م كتيبًا بعنوان [الأمة الإسلامية وأزمة الاستئناف الحضاري] توزيع مكتبة المأمون قدم له عبدالله عمر نصيف عندما كان أمينًا لرابطة العالم الإسلامي مشيدًا بالاهتمام بأمر المسلمين وهمومهم مبينًا أن أهم مشكلة في المجتمع الإسلامي هي البعد عن تطبيق منهج الله عز وجل ولابد للقادرين على تشخيص الداء من بيان الأسباب الموصلة إلى طريق النجاة .

ويمضي المؤلف في كتابه الأول قائلاً : إن الأسباب الموصلة إلى طريق النجاة قد يتعدد فيها الرأي والاجتهادات مع الالتزام بالأصول والثوابت الشرعية، ومن أخطر المشكلات أن تتباين معايير الاجتهاد إلى درجة تأتي فيها المواقف متناقضة متضادة . ولا سبب لهذه الظاهرة إلا غياب منهجية التكامل في التعامل مع النصوص ومأثور السلف في الموضوع الواحد . وفقه الموضوع الواحد والابتعاد بهذا الفقه عن وظائفه الميدانية وطاقته الاستيعابية .

وفي إطار الفهم ما السبيل إلى الانتقال بالأمة من الغثائية والتخلف إلى الخيرية والثقلية .

وبالتأكيد فإن الأمة جازمة بخيرية الإسلام وصلاحيته، والأزمة تتلخص في المفاهيم والتصورات المتعددة وفي النخبة الراغبة في تحكيم شريعة الإسلام وحاجتها الملحة لتحديد المسار الميداني المنهجي لاستئناف الدور الحضاري وتوحيد هذا المسار . ومن هنا فلابد من :

١ - تحديد أسباب الخلل الذي أدى إلى الانحدار الحضاري.

٢ - تقديم تصور عن بعض ملامح منهج العلاج .

٣ - خطوط عريضة لاستراتيجية إسلامية معاصرة.

وفي تحديد أسباب الخلل يذكر المؤلف [اضطراب العلاقة مع منهج الاستخلاف الرباني على الأرض - اضطراب البناء الثقافي للأجيال - جمود حركة الإبداع الفقهي الاجتهادي] مما أورثنا اضطرابًا خطيرًا في علاقة الإنسان بالكون والحياة واضطرابًا في ثقافة الأمة التي صارت تعيش قبلية ثقافية متصارعة تفوق في خطورتها عصبية الجاهلية ؛ لأن القبلية الثقافية المعاصرة أورثت أصحابها الاعتداد الثقافي والاستعلاء والاطمئنان الإيماني إلى سلامة فكره ومنهجه، وتتكاثر المبررات الشرعية للخلاف والانقسام والتشرذم حتى تصل إلى الاقتتال المفجع مع أن جميع هؤلاء يؤمنون بأهمية وحدة الصف ثم يختلفون فكل فرقة تدعي أنها على الحق وغيرهم على الباطل .

وكل يدعي وصلا بليلى
وليلى لا تقر لهم بذاكا

وتلك هي الغثائية الواهنة يزيدها ظلامًا الهوى والدخن و ...

أما الاسترخاء الاجتهادي فهو في حقيقته العجز بعينه عجز عن التفاعل مع الأمة وعجز عن فهم مبدأ التدافع البشري كسنة كونية، والقعود برغد العيش تحت ظلال وترانيم الرصيد التاريخي .

ما هو العلاج :

١ – فهم التوازنية الدقيقة بين عالم القيم والأخلاقيات وعالم الماديات والوسائل – إعادة النظر في المناهج التربوية والتعليمية – إعادة النظر في مناهج الدعوة .

٢ – إلغاء التمحور والقبلية الثقافية – العودة إلى المنابع الأصيلة للثقافة الإسلامية وضع ضوابط ومعايير للروح الثقافية – إحسان التعامل مع الثقافات الوافدة – التكامل الثقافي .

٣ – إحياء الحركة الاجتهادية الفقهية للبعد عن الانعزالية في ضوء مبدأ التدافع الإنساني؛ لأن الانعزال والجمود عطّل مهمة الوسطية والشهود الحضاري .

ثم طرح مشروع عمل استراتيجي إسلامي كما بسطه في الفصل الثالث من كتابه الثاني الإسلام والنظام العالمي الجديد .

هذا ملخص الكتاب الأول . ويمتلك القارئ بذلك فكرة عن الكتابين كدعوة إصلاحية جادة وأفكار قوية تدور في أذهان المصلحين تذكرنا بمرحلة فكرية مهمة يمكن تسميتها بالمرحلة التحذيرية من إفساد هذا الكون وتخريبه التي كان من روادها – المودودي – الندوي – وارتفع صوتها على يد المفكر المسلم رجاء الله جارودي في محاضرته [مستقبل الإسلام في الغرب – الإسلام وأزمة الغرب] وعمر بهاء الدين الأميري في محاضرته عن الاستئناف الحضاري وغيرهم من الدعاة المعاصرين . وقد برز خلال ذلك تيار قوي يدعو إلى حوار حضاري يبرز الإسلام ويطرحه كحل للأزمات العالمية المستعصية حتى من مفكري الغرب وساسته وقادته ومصلحيه ؛ بل طرحه من النصارى العرب في فترة سابقة فارس الخوري وبعض الأساتذة الحقوقيين الكبار في العالم .

المناقشة والاستفسارات

١ – المصطلحات المستخدمة في الكتاب : (الشهود الحضاري) .

أتقن المؤلف توليد المصطلحات كأسلوب اختزال واختصار يربط في ذهن القارئ بين الحقيقة التي تعرض وآية قرآنية أو حديث نبوي يتناول الفكرة نفسها [التدافع الحضاري – ﴿ولولا دفع الله الناس﴾ – التسخير – الغثائية الواهنة ... إلخ] ولكن مصطلح الشهود الحضاري – يبدو لي جديدًا ولم أتمكن من ربطه بالآية الكريمة ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾ فالشهود غير الشهادة . ولعلي لا أكون مخطئًا إذا عرفت أن الشهود الحضاري . يقصد به الإيجابية والتفاعل بأحداث الحضارة المعاصرة وإبداء رأي الإسلام فيها وهو بلا شك فرض كفاية يجب أن يتخصص به فريق من الدعاة ذوي الكفاءة العلمية والمكانة الدولية، بحيث يكونون دائمًا على أهبة الاستعداد وفي الخندق الفكري والفقهي والإعلامي على ثغور الإسلام وأهله، وهذا الأمر مطلوب وموجود قبل الدعوة إلى النظام العالمي الجديد . فلماذا تتجدد إليه الدعوة بهذه الحرارة ؟ لمشاركة العالم صياغة المستقبل بعد الانهيار الشيوعي ... وبالمناسبة ... فإن الانقسام السابق بين شرق وغرب لم يكن أكثر من مصالح بين شركات تجارية استغلالية يختص كل منها بمنطقة من هذا العالم المنكود يحتلبونها لصالح قيصر أرثوذكسي أو قيصر بروتستانتي أو قيصر شيوعي، ومهما اختلفت مصالح هؤلاء القياصرة كانوا يتفقون على تدمير العالم الإسلامي ونهبه وسلبه ووأد كل عرق ينبض بالعودة إلى الإسلام وإحيائه في أذهان الناس حتى ليخيل إليهم أن الإسلام قد انتهى إلى الأبد . ولكن .. لقد انتهى الأمر بأحد القياصرة إلى العجز والضعف والشيخوخة وفشلت أجناده وأعوانه في الحفاظ على ممتلكاته المسروقة فتدخل في الحال القيصر الأكبر ليمتلك القرار والسلطة ويمنع شركات

السطو والتخريب من الانهيار [قارن بين إقالة خروتشوف وبين انهيار النظام الشيوعي في موسكو] .

إذن فحقيقة الأمر أن شيئًا لم يتغير في هذا العالم وما النظام العالمي الجديد إلا فصل جديد من فصول المسألة الشرقية التي لم تزل مستمرة منذ بداية الحرب الصليبية وستبقى حتى يفتح المسلمون (رومية) بإذن الله عز وجل وفق قانون التدافع البشري . وليس هذا من التفسير التآمري ؛ بل هو الحقيقة الناصعة التي يجب أن نلقنها أبناءنا وأحفادنا كيلا يتوهموا أن النظام العالمي الجديد نعمة سخرها الله لهذا الكون، ولابد لنا أن نسارع لنأوي إلى ظلاله من لهب الحرب الباردة والساخنة .

إن عقلاء الغرب ومفكريه يعلمون جيدًا ما يمثله الفكر الإسلامي في ميزان الحضارة ولكن مجرد المعرفة لا يكفي فقد استخدم الغرب معرفته بالإسلام استخدامًا مخابراتياً عسكرياً وسياسياً للاستعانة بهذه المعرفة لصالح التخطيط الكيدي ضد الإسلام والمسلمين .

وقد أشار المؤلف إلى ذلك عندما كتب أن العداء بين الإسلام والكفر هو من السنن الكونية ولا يتطلب منا أكثر من فهمه ميدانياً والإحاطة بأساليبه المعاصرة في المكر والكيد .. فهل حققنا ذلك . أم لا نريد الدخول في التفسير التآمري ؟

إن تعاملنا مع الأحداث العالمية بكل أسف منذ الثورة العربية ١٩١٦م يتسم بالسذاجة والسطحية وربما بالبلاهة والغباء أحيانًا (الغثائية الواهنة) .

إن القانون الدولي منذ بداياته الأولى إنما وضع أصلاً لتنظيم الصف الأوربي في تعامله مع الخطر العثماني، ورغم تطور الدراسات القانونية في المجال الدولي ومؤسسات التنظيم الدولي ؛ فإن هناك تسلطًا [يهودي – مسيحي – يوناني – روماني] على العالم الثالث أو بصراحة على العالم الإسلامي ، وقد بلغ هذا التسلط ذروته في النظام العالمي الجديد – الكيل بمكيالين – والقانون الدولي المنظم عندما بدأ بعصبة الأمم التي أقرت نظام الانتداب بعد الحرب العالمية الأولى نجح في تكريس التجزئة والتقسيم وترسيم الحدود بين دول العالم الإسلامي ، ووضع على كل حدود نقطة متنازع عليها يحركها الإنجليز كلما احتاجوا لمعركة جانبية تشغل العالم الإسلامي وتمنح حكماء الإنجليز فرصة للتفكير .

ونجح المستعمر الغربي قبل الجلاء عن مستعمراته أن يشق المجتمع إلى شقين [فئة حاكمة وفئة معارضة – مسلمون –] وذلك لتهديم كل الجسور التي يمكن أن تصل بالإسلام إلى سدة الحكم (باستثناء السعودية التي ظلت بمعزل عن الاستعمار الغربي ، حيث استطاع الملك عبدالعزيز – رحمه الله – أن يفهم اللعبة بذكاء وجنّب بلاده آفات المستعمر الغربي – ولهذا نجح النموذج السعودي سياسة وحكمًا ونظامًا) .

أما بقية أنحاء العالم الإسلامي فقد أنبتت فيها ازدواجية التعليم أجيالاً يفهمون المعاصرة ويجهلون قراءة الفاتحة، وأجيالاً متبحرين في فقه القرون الوسطى ولا يدرون بما يجري حولهم (الحاج أمين يشتكي لشيخ الأزهر اعتداء اليهود على حائط المبكى فقال له سأتصل بحكمدار القاهرة يبعث معك مائة جندي لطرد المعتدين) .

ومن هنا كانت الدعوة إلى مشروع التكامل الثقافي ضرورة شرعية تفرض نفسها قبل أية خطوة أخرى لأنه من الضروري جداً قبل مخاطبة العالم أن نتفق على ماذا نكلمه وبلسان واحد وباختصار يجب أن يرانا العالم متفقين على رأي واحد في الأمور الضرورية الكبرى . وهذا يستدعي وجود النخبة – حكماء المسلمين – .

والذي أريد أن أختم به الكلام على الفصل الأول أن سلبية المسلمين كان سببها الغرب نفسه الذي تقوقع على نفسه ورفض سماع الآخرين إما استهتاراً بآرائهم أو استضعافًا لهم أو لقدرته على أخذ مايريد ونسبته لنفسه .

أما شهودنا الحضاري بمعنى الشهادة على الناس فلنرجع إلى كتب التفسير في الآية .

لقد وصف الله سبحانه هذه الأمة بالوسطية والتوازن في قوله سبحانه ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ..**﴾ البقرة / ١٤٣، فكما جعل الله سبحانه سياق الآية الأمر بالتوجه إلى الكعبة وترك التوجه

إلى بيت المقدس فمثل ذلك الجعل جعلكم أمة وسطًا – خيارًا عدولاً .

والوسط في الأصل اسم لما يستوي نسبة الجوانب كالمركز من الدائرة – ثم استعير المعنى للخصال البشرية المحمودة لكونها أوساطًا للخصال الذميمة التي تكتنفها من طرفي الإفراط والتفريط كالجود بين الإسراف والبخل والشجاعة بين الجبن والتهور . والحكمة بين الجربزة والبلادة، ثم أطلق الوصف على المتصف بها إطلاق الحال على المحل واستوى فيه الواحد وغيره لأنه بحسب الأصل جامد لا تعدّ مطابقته .

والوسط كصفة مدح أبرز ما تكون في النسب والشهادة ، إذ وسطية النسب أعرقها كما وصف جعفر بن أبي النبي ﷺ للنجاشي [هو من أوسطنا منسبًا] وكما وصفه أبو سفيان للقيصر زمن هدنة الحديبية .

والوسطية في الشهادة تعني العدالة وهي كمال القوة العقلية والغضبية والشهوانية . ولأن هذه العدالة لا يمكن إدراكها في الانفعالات وأفعال القلب ، ولابد من قيام الحكم الفقهي على الظاهر فقد عدّ الفقهاء اجتناب الكبائر وعدم الإصرار على الصغائر هو – العدالة – وقد أطال الألوسي في الرد على الذين استدلوا بالآية على حجية الإجماع الفقهي ومن ردوده إثبات عدالة الأمة على سائر الأمم (٧) .

وقد دلت الآية التي قبل هذه الآية وهي قوله تعالى **﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾** دلت على أن تحويل القبلة إلى الكعبة من هداية هذه الأمة إلى الصراط المستقيم .

وقد عرف العرب الوسط بمعنى الخيار أو العدل كقول زهير :

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم
إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم

وقد ثبت تفسير الوسط بالعدل عند الترمذي والنسائي والمسند من حديث أبي سعيد في الآية (... وسطًا : قال عدلاً) (٨) وهذه الوسطية صفة ذاتية في التشريع الإسلامي عامة، حيث يرفض الغلو والعنت ويرفع المشقة والحرج كما هي صفة للكعبة كمركز للأرض بل للكون كله وهي صفة الأمة المسلمة فقهًا وحضارة ومنزلة كونية .

وقوله تعالى : **﴿لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾** فالشهادة التي يؤديها المسلمون على سائر الأمم السابقة إنما تكون يوم القيامة ؛ لأن شهادة الرسول ﷺ قد دل القرآن الكريم على أنها في الآخرة قال تعالى : **﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾** النساء / ٤١ .

والأمة الإسلامية تشهد على الناس كما يشهد الرسول ﷺ أي يوم القيامة، وثبت ذلك من حديث أبي سعيد – رضي الله عنه – عند البخاري والترمذي والنسائي والمسند قال ﷺ : يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل والنبي معه الرجلان وأكثر من ذلك فيدعى قومه فيقال لهم هل بلغكم هذا ؟ فيقول : لا ، فيقال له : هل بلغت قوله ، فيقول : نعم ، فيقال له : من يشهد لك فيقول محمد وأمته . فيدعى محمد وأمته فيقال لهم هل بلغ هذا قومه فيقولون نعم فيقال وما علمكم فيقولون جاءنا نبينا ﷺ فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا فذلك قوله تعالى **﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾**.. وفي حديث آخر عن أبي سعيد أيضًا : «وما من نبي كذبه قومه إلا ونحن نشهد أنه بلغ رسالة ربه» . وقد أخرج البخاري ومسلم حديث أنس قال : مروا بجنازة فأثنوا عليها خيرًا فقال ﷺ «وجبت وجبت ... أنتم شهداء الله على الأرض» ثلاثًا .

وخلاصة الكلام أن شهودنا الحضاري يستلزم أولاً امتلاك المشروع الحضاري وفهمه من قبلنا تمامًا أثناء عرضه للآخرين، ولاشك أن يقظة مفكرينا على المستوى الدولي تؤدي دورًا رائعًا في رد الشبهات والمطالبة بحقوق الأقليات والذود عن حرم الإسلام، ولكن هذا الدور لا يلزمنا بالانغماس حتى الرقبة في النظام العالمي الجديد وحبذا لو سألنا الفقه الإسلامي عن حكم خضوعنا لقرارات الأمم المتحدة في المجال السياسي (ما حكم الشهادة على الجور والظلم) ؟

رحم الله شوقي عندما قال :

قم تحدث أبا علي إلينـا
كيف غامرت في جوار الأراقم
وقد طلبنا من المغانم حظا
ووردنا الوغى فكنا الغــنائم

إن النظام الدولي في عهد عصبة الأمم وفي عهد هيئة الأمم هو نظام القوة الغاشمة وليت ضد أحد إلا ضد العالم الإسلامي – كشمير – البوسنة والهرسك – الشيشان ... إلخ .

ومن الواجب على فقهاء المسلمين – النخبة – قبل تقديم مشاركاتهم الحضارية للمجتمع الدولي أن يبينوا لنا الحكم الفقهي للمشاركة في النظام الدولي القديم والجديد.

إن الاتفاق على ردع المعتدي وحفظ الحقوق – تقرير المصير – ضمن المجتمع الدولي – أمر لا يمنعه الإسلام (حلف الفضول) – أما الاحتكام إلى محكمة العدل الدولية لأمر محرم لأنه حكم بغير ما أنزل الله عز وجل (٩) .

٢ – هيئة حكماء المسلمين .

لاشك أن الإسلام يأمرنا بالاستشارة والاستعانة بخبرة المستشارين والمحكمين ؛ بل إن أصل الفكرة يقننها الفقه الإسلامي بصورة أهل الإجماع ؟ والتساؤل الذي يطرح هنا عن هؤلاء الحكماء من هم ؟ .

هل هم أهل الحل والعقد . (إذا اتفقنا على تركيبة أهل الحل والعقد) . أهل الشورى أم أهل الإجماع الفقهي – تعيين أم اختيار ؟

هل ننظر في الحقل الفقهي لنختار أعلى سنابله وأصلبها عوداً ؟

لقد أبقى المؤلف فكرة تحديد الحكماء عائمة غائمة نظرية فلابد من مزيد من التحديد لإمكان التطبيق والفكرة مشروعة بأصلها من خلال حجية الإجماع وأدلته الأصولية.

لقد استطاع الشيعة حصر الحكماء بالمؤسسة الدينية وحدها فلا يسمع صوت فقهي إلا من خلال تلك المؤسسة بينما نجد الأمر غير ذلك في سائر العالم الإسلامي فهناك فقهاء، ومن أهل الإجماع يعملون بالطب والهندسة وسائر العلوم الأخرى وهذا ما يزيد قضية الحكماء صعوبة . مع يقيني بأن التعددية مطلوبة والتنوع مفيد ولابد لتحقيق الوسطية الثقافية الحضارية من شمول مفهوم الحكماء سائر الاختصاصات العلمية ولا سيما في المجال الاستراتيجي .

٣ – التجسير :

لم يذكر المؤلف هذا المبدأ صراحة ضمن المنطلقات الاستراتيجية للعمل الدعوي ولكنه كان يشير إليه ببراعة السياسيين – فن الممكن – فن استخدام الحق ، ويذكر المسلمين بأن العداء بين الشعوب الإسلامية وحكامها لم يستفد منه إلا اليهود والغربيون بشكل عام ومع أن المعركة كانت تفرض على الدعاة باستمرار ، حيث يذكي نارها أجهزة دولية وأصابع خفية مما حمل الإسلاميين على الرد الميكانيكي بعيداً عن منطق الحكمة والتعقل فخسروا المعركة وكسبوا عداوة الحياديين والنصارى في المجتمعات الإسلامية . وقد أشار المؤلف عدة مرات إلى ضرورة فهم التوازن بين القيم والماديات والوسائل وربما يفهم من عرض الكلام أن الإسلام قد أغرق في الجانب المثالي ونحن بشر يسعنا في مجال التوازن التماس الرخص وعدم التشدد ؛ بل لابد من ذلك بالنسبة للحاكم المسلم الذي يقوم عمله على الرخصة والتيسير بينما يقوم السلوك الفردي على العزيمة في الغالب .

إن العداء الذي استحكم بين الجهات العاملة في الدعوة وبين الحكومات أمر لابد من إزالته ومحو آثاره من ذاكرة الدعاة الذين يجب عليهم أن يتفهموا اجتهاد الحاكم في مجال الرخصة (الصلح والهدنة – قضايا – الربا – الإعلام ... إلخ) وسواء كانت قضية التجسير هذه تروق لبعض الناس أو تزعجهم فلعلها هي السبيل الوحيد أمام فرص الدعوة المعاصرة فلا طريق إلا الحوار ولا سيما في إطار النظام العالمي الجديد .

حيث يحتاج فن الممكن واستخدام الحق أن يقود السياسيون الإسلاميون – ركب الدعوة في عمايات أروقة النظام الدولي الجديد . مما يتطلب على الداعية أن يتقن اللعب على الحبال وحل المعادلات المتعددة المجاهيل حتى يتمكن من العيش بسلام .

وفي ظني أن مرونة الاجتهاد الفقهي لا تتيح ذلك للداعية ؛ لأن القضية لاتتطلب حلاً لظرف آني يحتاج لنظمية الضرورة بل تفكير استراتيجي يحاول تليين قضية الاجتهاد وتطويعها للأوضاع السياسية المعاصرة .

إن مشاركة الفقهاء المسلمين الإيجابية أسهمت في صياغة النظريات الكبرى في فقه العلاقات الدولية ولكن هذا المجد الفقهي لم يرجع علينا بأية فائدة عملية إيجابية ؛ بل العكس هو الصحيح - العداء يستحكم والفهم ينسب لغيرنا ونحن نمثل الأسلوب الآسيوي المتخلف في الإنتاج والفكر والنظم .

إن الأقوال في الحكم الاجتهادي قد انقسم فيها الأصوليون على خمسة أقوال ولكن الراجح منها هو أن الحق واحد لا يتعدد في كل مسألة في العقائد والأصول والفروع، فمن وافقه فهو مصيب مأجور بأجرين ومن خالفه في القطعيات فهو مخطئ آثم ومن خالفه في الظنيات فمخطئ معذور .

أما بقية الأقوال الأربعة فمضمونها (الحق واحد في القطعيات أما الظنيات فلا حكم لله فيها وكل مجتهد فيها مصيب) - ولا تتميز الأقوال إلا بالتخطئة أو التأثيم للمخطئ (١٠) .

أقول هذا مذكرًا أن المواقف الإسلامية التي يتبناها بعض الدعاة من منطلق اجتهادي لا تمثل الحق دائمًا بل ربما كانت على عكسه تمامًا (١١) .

وخلاصة الكلام إن الكتاب - الإسلام والنظام العالمي الجديد - خطوة متقدمة واسعة على طريق الدعوة الإسلامية وعلى طريق العلاقات الدولية تحتاج إلى استنبات الفكرة في مؤسسات علمية ودولية تتبنى الأفكار العملية في الكتاب بعد الاتفاق على القضايا الكبرى فيه ولا يوجد في هذا المجال أجدر من المملكة العربية السعودية كنموذج إسلامي فذ في المجال الدولي .

ويكفي أنني عرضت الكتاب بحسب فهمي له وحاولت تقريبه للقارئ مع إثارة الاستفسارات الكبرى المهمة فقط .

لقد قال شكيب أرسلان : لم نجد مدنية واحد من مدنيات الأرض إلا وهي رشح مدنيات سابقة وآثار آراء اشتركت فيها سلائل بشرية ومجموعة نتاج عقول مختلفة الأصول ومحصول عشرات ألباب متباينة الأجناس . فما من حضارة إلا وتشكل لبنة في البناء الحضاري ، والإسلام لا يبخس الناس أشياءهم في ظل عموم دعوته وشمولها فهو دين الله سبحانه والله غالب على أمره وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين .

الهوامش

١ - الصفحة الأولى من جريدة **الشرق الأوسط** ١٠/١٢/١٩٩٤م .

٢ - الصفحة التاسعة من **الشرق الأوسط** ٥/١/١٩٩٥م .

٣ - كلمة الدكتور معروف الدواليبي في **الشرق الأوسط** ٢٥/١/١٩٩٥م .

٤ - **أوروبا والإسلام** ، عبدالحليم محمود ص١٠٣ .

٥ - الاقتصاد الإسلامي ، أحمد محمد جمال ص٣٦.

٦ - **محاضرة جارودي في الأزهر** ٧/٤/١٤٠٣هـ/ ٢٢ - آذار ١٩٨٣) ترجمة رفيق المصري ونشرتها دار العلم للطباعة والنشر .

٧ - **روح المعاني** ، مجلد ١ ، مج٢ ، ص ٤ .

٨ - **فتح القدير** ، للشوكاني ١/١٥٧ .

٩ - انظر مقالة الشيخ عبدالعزيز بن باز حول هذا الموضوع في مجلة **الرابطة** ، العدد ٣٥٧ رجب ١٤١٥هـ ، ص٤ .

١٠- **ابن قدامة وآثاره الأصولية** ، . عبدالعزيز بن عبدالرحمن السعيد ، ط٢، القسم الثاني ص٣٦٠. نيفين مسعد ، **مجلة العلوم الاجتماعية** ، الكويت ربيع صيف ١٩٩١م .

١١- موقف التيارات الإسلامية من أزمة الخليج.

الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي لعزيز السيد الجاسم

إبراهيم أحمد السامرائي

كلية الآداب – جامعة صنعاء

الجاسم ، عزيز السيد / الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي .- بيروت: دار الأندلس، ١٥٠ص .

لقد بدأت هذه السلسلة بالكلام على «السيف اليماني في نحر أبي الفرج الأصفهاني» لمؤلفه وليد الأعظمي. وكنت قد قرأت هذا الكتاب ووقفت على ما كان قد حفز الأعظمي إلى أن يدعو إلى قتل الأصفهاني لو كان حيّاً، وكأنه أراد أن أبا الفرج مستحق للقتل.

وفي هذا الموجز أعرض لكتاب آخر هو «الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي» لمؤلفه عزيز السيد الجاسم. ويقع الكتاب في مئة وخمسين صفحة، فهل كان للمؤلف أن يدرك فيها غايته فيبسط أمر «الاغتراب» فيها. كأني وجدت أن مسألة الاغتراب في شعر الشريف وحياته لم تحتل إلا قسطًا غير كثير من الكتاب، ولكن المؤلف سعى إلى تدارك هذا فأعمل فكره ورَمَى هذه المسألة هي الاغتراب على مادة كثيرة من شعر الشريف لم يكن فيها إلا ما رآه المؤلف مما يفيد الاغتراب .

أقول: ولنعرض لشيء مما عُرف به المؤلف في كتاباته وما كان من حديث العراقيين فيه، وهذا شيء لابدّ منه في الوصول إلى الكتاب.

عرفت المؤلف معنياً بالسياسة وفي الشئون القومية منها، يكتب في الصحف، حتى إذا كان لحزب البعث العربي الاشتراكي أن يتولّى الحكم في العراق رأيته كاتبًا في أدبيات الحزب في الوحدة والحرية والاشتراكية يملأ الصفحات من مقالاته في صحف الحزب. ثم بلغني أنه تحوّل إلى التاريخ فكتب كتاباً مع أخيه محسن الموسوي في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ولم يظهر هذا الكتاب لأن فيه، كما قيل، نيلاً من رجال السلف.

ولم يكن تحوّل المؤلف إلى التاريخ الإسلامي غريبًا من المؤلف ذلك أن المؤلف من أسرة شيعية من أهل العلم فأخوه الأكبر مكي السيد جاسم من أهل المعرفة الجادة في التاريخ الإسلامي ولا سيما في التاريخ الشعبي، ومطلعًا اطلاعًا وافيًا في الأدب القديم.

وأعود إلى «الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي» فأقول في إشارة موجزة: لو كان عزيز السيد جاسم من أهل العربية كأخيه السيد مكي لكان له أن يقول: «الاغتراب في حياة الشريف الرضي وشعره»، ولكن الذي أثبته شيء عُرف في هذه الأيام. وإني لأسأل نفسي بعد أن قرأت الكتاب، وأنا معنيّ بالشريف سيرته وشعره منذ عهد بعيد: أأصاب الأستاذ عزيز السيد جاسم فجعل كتابه هذا في أمر «الاغتراب» ؟

كأني أجيب بيسر بأنه أخفق في هذا، فليس حديث الاغتراب إلا قسطًا غير وافٍ في الكتاب.

إني لأعرف ومعي سائر المعنيين بالشريف أن ما دُعي بـ «حجازيات الشريف» هو كلّ ما للشاعر من أدب الاغتراب، ولكن المؤلف أراد أن يكون له كتاب في هذا فساق الأمر وتوسّع في الشرح والتفسير ليكون ما في الكتاب خاضعًا لمسألة «الاغتراب». ولكنه مع هذا لم يستطع الوفاء بهذا المطلب فكان أن أتى لمسائل لا تتصل بالاغتراب، فلو أنه جعل كتابه موسومًا بـ «أدب الشريف وحديث الاغتراب» لكان له أن يتوسع في أدب الشريف، ويكون من هذه السعة شيء يتصل بـ «الاغتراب».

وأعود فأستقري مادة الكتاب لأدل على أن

«الاغتراب» فيه حاشية ضئيلة قد تغيب في زحمة المواد الأخرى.

أقول: لم يكن «مدخل» المؤلف الذي وسمه بـ «الشعر والاغتراب» موصلاً القارئ الجاد إلى شيء من القناعة بعيدًا عن الشريف الرضي، ذلك أن المؤلف في هذا المدخل عرض لحقيقة الشعر وصلته بالشعراء عامّة.

دخل المؤلف في «مدخله» هذا ليصل منه إلى مادته في «الاغتراب» في شعر الشريف فهل وصل به هذا المدخل إلى الحيز الذي أراد؟

كأني أقول: لم يكن له أن يصل، إنه بدأ من القرآن الذي ظنه الجاهليون في تخبّطهم «شعرًا» فكذبتهم الآيات:

﴿وما علّمناه الشعر وما ينبغي له، إن هو إلاّ ذكر وقرآن مبين﴾.

و ﴿أم يقولون شاعر نتربّص به ريب المنون﴾.

و ﴿ما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون﴾.

أقول: كيف اتخذ المؤلف هذه الآيات «مدخلاً» إلى «ثنائية الاغتراب في شعر الشريف الرضي» ؟ كذا قال، وأين هي الثنائية ؟ أأراد «تنكر» الآيات لما هو شعر من فنون القول ؟ إن كان هذا فليس من «ثنائية» فيها تلازم بين شيأين.

ثم أثبت الآيات التي وردت في «سورة الشعراء» التي نالت من الشعر والشعراء ، وهي:

﴿والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنَّهم في كل وادٍ يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون، إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وذكروا الله كثيراً، وانتصروا من بعد ما ظلموا﴾.

أقول: هذا حكم على الشعراء في ضلالتهم، وأما الاستثناء الذي ورد في آخرها فهو خاصّ بمن أسلم منهم وعمل صالحًا وذكر الله كثيرًا فانتصر بعد أن كان مظلومًا في كفره وضلالته.

ومن هنا قال النقاد إن الشعر في الإسلام قد ارتدّ، وأن ما كان من شعراء المسلمين فقد ضعف أمره وقالوا: إن حسان بن ثابت أشعر في جاهليته منه في إسلامه، وأن شعره قد «لان». فكيف لدارس أن ينسى هذا وقد بسطه النقاد الذين وازنوا بين الشعر في الجاهلية والشعر في الإسلام؟

وكيف جاز للمؤلف أن ينفذ من هذا فيذهب بعيدًا إلى القرن الرابع الهجري فيتخذ من هذه الآيات مادة تعين على فهم «الاغتراب» في شعر الشريف الرضي وسيرته ؟

وكيف ساغ للمؤلف أن يقول في «مدخله» هذا:

«من هذا "المنطلق القرآني" تأكدت الفكرة الجوهرية التي تنصّ على علاقة الشعر بالإيمان، والتي يمكن إدراك مدى صدق الشاعر "وجديته"، أو حقيقته بتعبير أدق».

وكأنه أراد على زعمه هذا أن يجد وسيلة يصل بها إلى الشريف الرضي فقال بعد الذي أثبته من كلامه:

«وفي واقع الأمر أن العودة إلى "المنطلق القرآني" ضرورية تمامًا، وخاصة بالنسبة إلى شاعر هو الشريف الرضي المسلم أولاً ومن سلالة النبي الكريم إضافة إلى ذلك، أن المنطلق القرآني يقدم تصور شاملاً عن اغتراب الشاعر ومعاناته العجيبة، التي لا حلّ لها إلا في الإيمان والالتزام، والنظر بعين الحق» .

أما الحقيقة الثانية فهي مقاتل الطالبين والفجيعة الحسينية الكبرى....

أقول: بعد كلام طويل استعيرت موادّه مما تبسطه الصحف رمى المؤلف بضاعته على شيء يتصل بالقرن الرابع الهجري فأظهر ولاءه للسيد الشريف ولاءً يتجاوز ما لدى الدارس الجاد، ذلك أن «مقاتل الطالبيين» وعلى رأسها فجيعة الطن في

كربلاء قد صرفت المؤلف عن العلم ورمته في حال من المأساة لا تنير له الدرب...

وهو بعد هذا الكلام الطويل في الشعر وفلسفة النظر للمؤلف في حقيقة ما هو شعر انتقل إلى مقطعات من قصائد للشريف في حماسته وفخره بآبائه وذمّه للزمان، ختمها بشيء عن نهاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ثم استشهاد الحسين، وما كان من أثر ذلك لدى «ملايين المسلمين» في كل العصور مشيرًا إلى نسبه إلى الأئمة الاثني عشر الذين بدأوا المسيرة من جدهم الإمام علي - رضي الله عنه - ثم ختم بذكر من استشهد مع الإمام الحسين.

وهو هنا يشير إلى جريمة من اقترف القتل ممن يدّعون الإسلام ذاكرًا حديث الرسول:

«استوصوا بأهل بيتي خيرًا، فإني أخاصمكم عنهم غدًا، ومن أكن خصمه أخصمه، ومن أخصمه دَخَل النار». وغير هذا من كلام الرسول ﷺ الذي أشار فيه إلى وجوب الاستمساك بكتاب الله ثم أهل البيت.... ثم ختم المؤلف هذا المدخل في الصفحة الخامسة عشر بقصيدة لامية استوعبت صفحتين في رثاء الشريف لجدّه الحسين»(١).

أقول: إن هذا «المدخل» لم يكن في خدمة الغرض. وإن اظهار الولاء والألم لما جرى للطالبيين عامة من مصايرهم، ولفجيعة ما كان في كربلاء كله خطوب يأسى لها المسلمون عامة وليس الشيعة وحدهم، ولكن ليس هذا كله سببًا في صرف الدارس عن غرضه والتقدم إليه بنفس لا تنطلق بلسان الفجيعة.

قلتُ: لقد انتهى «المدخل» وأعقبه عنوان هو «ذو التعاستين» وهذا العنوان هو من عنوانات كثيرة وليست فصولاً ظهرت في الكتاب.

و «التعاستان» في ميراث الشريف في روحه ودمه وروح الفجيعة الحسينية وهما:

الأولى : سجن أبيه الذي كان سنده الكبير... وأبوه النقيب أبو أحمد عظيم المنزلة في دولة بني العباس ودولة بني بويه، ولقِّب بالطاهر ذي المناقب» ... وقد كان الشريف الرضي في العاشرة من عمره حينما سجن عضد الدولة أباه أبا أحمد.

أقول: لقد مضى المؤلف في هذا السرد التاريخي وما قيل فيه في التاريخ، وما أضافه المعاصرون ومنهم زكي مبارك ... وكأنه نسي «التعاسة الثانية» فلم يرد شيء بعد قوله ما قال في «التعاسة الأولى» !!

لقد سُجن أبو أحمد سنة ٣٦٩هـ وبقي عشر سنوات في «قلعة فارس»، وكان للشريف الرضي الفتى الشاب شعر في هذا الخطب ذكره المؤلف حمل فيه الشاعر على وزير عضد الدولة.

أقول أيضًا: في هذه المأساة وظروفها أدرك المؤلف أن البويهيين أهل حكم وسطوة، ولا يهمهم غير هذا، فإن لزموا الشيعة وقدّموهم وأظهروا هم أنفسهم أنهم شيعة، فالغرض هو أن يستتبّ الأمر ويستقيم لهم. ولذلك رأيناهم حين وجدوا أبا أحمد الشريف الطاهر يدعو بدعوة الطالبيين وهي التصدي لحقهم في الحكم الذي سُلب طول عدة قرون وقفوا يردّون عليه دعوته، فكان أن توجّه المطهّر بن عبدالله وزير عضد الدولة لأبي أحمد عند القبض عليه بقوله:

«كم تُدل علينا بالعظام النخرة»(٢) وهو يعني أمجاد آل البيت النبويّ وما كان من خطوبهم في مسيرتهم التاريخية.

قلت: لقد أدرك المؤلف هذا، وعرف حقيقة البويهيين وتسترّهم خلف ستار التشيع، والمؤلف في هذا يعود إلى ثقافته القومية التي عُرف بها في كتاباته وانتمائه.

ولكني أقول: إنه في هذا الكتاب يعالج مسألة علمية تتصل بأدب الشريف الرضي وسيرته، وهو من غير شك قد استقرى الديوان ووقف على قصائد للرضي متوجّهًا مادحًا ملوك بني بويه، ولكنه لم يُشر إليها لأنه تحرجه

ومن شأنها أن تخرجه عن الدائرة الإيجابية التي ألقى نفسه فيها والتي قضت عليه أن يظل في ولائه وطاعته وإعجابه بالشريف الرضي.

ثم ألم ينظر شعر الشريف في مدح الخلفاء العباسيين ولا سيما القادر بالله، ولم يكن في ذلك أي تعريض وأي إيماءة إلى شيء غير المدح والثناء، فأما ما كان في قوله وهو يمدح الطائع :

عطفاً أمير المؤمنين فإنّنا

في دوحة العليا لا نتفرقُ

ما بيننا يوم الفخار تفاوت

أبداً كلانا في المفاخر مُعرقُ

إلا الخلافة ميَّزتك فإنّني

أنا عاطل منها وأنتَ مطوَّقُ[3]

أقول: كان ينبغي أن ينظر المؤلف في الكلام على وفاء الشريف إلى اهتمامه وعنايته بالناس الذي لا صلة لهم بالسلطة كرجال العلم ومنهم أبو الفتح عثمان بن جنّي الذي درس عليه العربية.

لقد عني به الرضي ولزمه وقرّبه منه ورثاه بعد وفاته وحضر دفنه وأنزله بنفسه إلى مثواه. وكان ينبغي أن ينظر إلى صلته بـ « أبي إسحاق الصابئ » الذي رثاه في أكثر من قصيدة، وهو « الصابئ » غير المسلم. لم يفعل هذا.

وأعود إلى الكتاب فأنظر في ص ٤ - ٤٦ «الاغتراب الروحي في حياة وشعر الشريف الرضي».

أقول: وهذا أسلوب في التأويل لما كان من شعر الشريف في خطوبه وحيرته في الزمن وأهله، وهذا شيء نجده لدى كثير من الشعراء طوال العصور.

وكذلك ما كان من «الاغتراب السياسي» ص ٤٦ - ٦٤ الذي عرض فيه لأحداث تاريخية وما كان للرضي فيها ممّا ورد في شعره.

وأراد المؤلف أن يعود لما هو فيه من الإحساس بالعروبية فجاء كلامه في «الجذر القومي للاغتراب السياسي للشاعر» ص ٦٥ - ٧٦. ثم «الغربة الاجتماعية» ص ٧٦ - ٩٠ وهي غربة الناس عامة، وفيها غربة الصديق.

أقول: وفي هذا كله شيء من اجتهاد مضنٍ للوصول إلى مسائل نظر فيها المؤلف إلى «الاغتراب» وقد فاته حسن التأويل والتعليل.

وهذه الموضوعات على الاستعانة بالتأويل لا تتصل بمسألة الاغتراب إلا لدى المؤلف الذي كان أسير الهوى والولاء.

أين من الكتاب مسألة الذين أخذ عنهم الشريف الرضي من رجال العلم كابن جنّي وأبي الحسن علي بن عيسى الربعي، والقاضي عبدالجبار وأبي بكر الخوارزمي والمرزباني، والشيخ المفيد وغير هؤلاء ؟

وعاد المؤلف إلى مسألة «الاغتراب» وجعله في «الحب»، وقد عرض لشعر الرثاء وما لمحه فيه من الغربة.

لقد عرض إلى الهمزية التي رثى بها أمّه وأحسن فيها الكلام، ولكنه نسي أن يقف في هذه القصيدة الباكية على قول الشريف الرضي في رثاء أمه:

وخلائق الدنيا خلائق مُومس

للمنْع آونةً وللإعطاء ! !

ثم وازن بين هذه القصيدة وميمية المتنبي الشهيرة في رثاء جدّته، ولامية المعرّي في رثاء أمّه.

أقول: لو أن المؤلف وقف عند حجازيات الشريف لكان له أن يأتي بدرس حسن في مسألة «الاغتراب»، ولكنه أراد أن يقيم هيكلاً فخلط بين الحجارة.

الهوامش

١- كتاب «الاغتراب» في حياة وشعر الشريف الرضي (ط. دار الأندلس ببيروت): المدخل ص٧ - ١٧

٢- المصدر نفسه، ص ١٩.

٣- كان هذا من الشريف لأن الخليفة الطائع قد وقف غير موقف الخلفاء الآخرين، فشعر الشريف أن في ذلك انحرافًا عما كان من أمره.

المملكة العربية السعودية : ببليوجرافيا عن المجتمع والسياسة والاقتصاد لهانز فيليب

جعفر إبراهيم الناي

دار العلوم للطباعة والنشر والتوزيع – الرياض



فيليب ، هانز – جيرجن / المملكة العربية السعودية ، ببليوجرافيا عن المجتمع والسياسة والاقتصاد .– ميونخ : ك . ج . سور ، ١٩٨٤م .

تحتوي هذه الببليوجرافيا على ٣٦٨٠ عنوانًا، وهي تضم ما نشر باللغة الإنجليزية – وهو الأكثر – ثم ما نشر باللغات الألمانية والفرنسية والإيطالية والهولندية والإسبانية والدنماركية والفنلندية والفلمنكية والجرمانية والسويدية (انظر الجداول).

والمطبوعات المضمنة هي الكتب ومقالات الدوريات وكذلك المطبوعات الحكومية وتقارير الأعمال من شركات بترول وبيوتات استشارية وبنوك ، والبحوث والدراسات التي أجرتها منظمات دولية ومراكز بحوث .

وكثير هي الصعوبات التي تكتنف رصد مثل هذه المطبوعات حتى هذه الببليوجرافيا التي نحن بصددها . لقد استغرق جمع موادها سنوات، ورغم ذلك لا يمكن القول إنها كاملة ولكن جمع هذا الكم له قيمة حقيقية ويجب عدم الاستهانة بالمجهود الذي بذل فيه لسببين :

أولاً : محدودية الحركة والحرية المتاحة للقيام ببحوث في عدد من حقول العلوم الاجتماعية بالسعودية مما يجبرنا بالعودة إلى ما يعرف بالمنشورات الرمادية .

ثانيًا : إن ما تنشره الدوائر الحكومية وشركات البترول والبيوتات الاستشارية في المملكة هو إلى حد كبير ، ثمرة لبحوث حديثة وإن قيمتها العلمية توضع مقابل سعرها المادي .

قام كثير من الدوائر الحكومية خاصة الوزارات المختلفة بإصدارات خلال السنوات القليلة الماضية شملت كتبًا ونشرات وحوليات، وكلها تمتاز بالإخراج الفخم وبالإحصاءات الواسعة كما تمتاز أيضًا بقلة المحتويات الدعائية .

حذفت من الببليوجرافيا المقالات والملاحق التي أصدرتها الجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية ، وأكثرها اهتمامًا، إصدارات عن السعودية للاستفادة هي المجلات التالية ، التي تحتاج إلى ببليوجرافيات منفصلة :

Le Commerce du Levant, The Economist, Financial Times, Informazioni per il Commercio Estero, Life, Middle East Economic Digest, Le Monde, Neue Zürcher Zeitung, Newsweek, New York Times, The Oil and Gas Journal, Der Spiegel, Time, and The Times .

المطبوعات المقارنة الموجودة منذ عهود سابقة لم تضمن أيضًا، وهي كتابات فيلبي وتقارير ويسي التي نشرتها المجلة الأسبوعية «الشرق الأدنى والهند» وخليفتها «بريطانيا العظمى والشرق» اللتين صدرتا خلال العشرينات والثلاثينات من القرن ، وكذلك ما نشرته الجريدة الألمانية اليومية Neue Zurcher Zeitung في السنوات ١٩٢٧ – ١٩٣٢م . إضافة لهذه المقالات التي حذفت كتابات دوتي وجولدزيهر ولانجر وزيلهم وآخرون في الأسبوعيتين Globus و Ausland خلال القرن التاسع عشر .

مقالات دوائر المعارف لم يجر تسجيلها أيضًا ما عدا تلك المهمة، التي وردت في دوائر المعارف الإسلامية الطبعة الألمانية الأولى والطبعة الإنجليزية الثانية . أما الدوائر الأخرى والمعاجم التي بها مقالات تتفاوت في درجة تعمقها العلمي واهتمت بالسعودية، سكانها وشخصياتها وأحداثها فيمكن الرجوع إليها في :

Britannica Book of the Year ; Collier's Yearbook ; Encyclopaedia Universalis ; The En-

cyclopedia Americana ; (...lopedia Britannica ; Der Grobe Brockhaus ; ...te. Winkler, Prins ; Larousse ; Meyers En... ...adisches Lexikon ; M. Heravi (ed.) : Conc... Encyclopedia of the Middle East. (Washingt... Public Affairs Press, 1973) ; S. & N. Ronart : ...ikon der Arabischen Welt. Ein historisch-poli... ...s Nachschlagewerk. (Zurich, Munich : Arte... 1972) ; W. Tietze (ed.) : Westermann Lexi... der Geograhpie . 5 vols. (Brunswick : Westermann, 1968 - 72) .

الأطالس والخرائط والصور الفضائية والمطبوعات شاكلتها لم تندرج، وكذلك مستخلصات الكتب التي ضمن القائمة باستثناء المستخلصات التي تحتوي مادة علمية اجتماعية بارزة ومهمة فقد أضيفت .

بعض المطبوعات التي صدرت في شكل كتب ومحتوياتها شاملة لمواضيع كالثقافة الإسلامية أو عن جميع دول شبه الجزيرة العربية ومطبوعات المنظمات الدولية والسعودية عضو فيها فقد جرى إضافتها للقائمة أسوة بالكتب المحتوية على فصل أو فصول عن المجتمع والسياسة والاقتصاد السعودي وذلك في الفترة من منتصف القرن الثامن عشر .

أعطيت أهمية خاصة لتسجيل التقارير التي بعثها الرحالة والمستكشفون وكتب سيرهم من أمثال بيركهارت وبيرتون ودوتي وهيوبر وڤون مالتزان وألس موصل وبلجريف وبيلي وفيلبي وصادلر وسنوك هورجورنج ووالن، إذ إنها تمثل النبع لمصادر المعلومات عن السعودية خلال القرن العشرين .

رغم الاستفادة المحدودة للباحثين في العلوم الاجتماعية لما ينشر من مصادر المياه وتطوير استخداماتها فقد تم رصدها ضمن القائمة تحت ضغط حقيقة المشكلات التي تعانيها السعودية بسبب الظروف المناخية التي تجعل تقديم ما ينشر عن المياه له أهمية قصوى في مجال الزراعة والتصنيع وما يواكب ذلك من بناء للأسرة .

جرى تدقيق الاختيار في ثلاثة مواضيع متفاوتة، حيث سجلت فقط بعض ما نشر فيها وليس كل ما نشر، وهذه المواضيع هي الدراسات الإسلامية وشخصية لورانس العرب ونشاطاته خلال الثورة العربية الكبرى ١٩١٦ – ١٩١٨م وموضوع السياسات البترولية لمنظمات الأوبك والأوابك منذ الستينات ، حيث هناك ببليوجرافيات خاصة صدرت في هذه المواضيع .

من مجموع ٣٥٩٥ عنوانًا احتوتها القائمة «دون واحد وخمسون عنوانًا تمثل الببليوجرافيات والمداخل المضافة كملحق ، وتلك التي ليس لها تاريخ نشر» نجد أن ٢٥٦٥ (٧١,٣٪) باللغة الإنجليزية و٦٢٠ (١٧,٢٪) بالألمانية و٢٩٥ (٨,٢٪) بالفرنسية و ٧١ (٢٪) بالإيطالية والباقي ٤٥ عنوانًا (١,٢٪) بلغات أوربية مختلفة (٢٢ بالهولندية و١٠ بالإسبانية و ٢ – ٥ بالدنماركية والسويدية والفنلندية والفلمنكية) .

من هنا يتضح هيمنة اللغة الإنجليزية على ما نشر في العلوم الاجتماعية السعودية حتى إذا اعتبرنا لغات أخرى لم تصنف كالعربية والروسية والتركية . بالطبع ؛ فإن الأسباب وراء ذلك سيطرة بريطانيا على حدود شبه الجزيرة العربية لمدة طويلة إضافة إلى الدور الرئيس الذي قامت به الشركات الأمريكية في مجالات البناء والتنقيب واستكشاف الموارد الطبيعية وتطوير البنية الأساسية منذ الثلاثينات، وكون اللغة الإنجليزية هي لغة العلوم على نطاق العالم واللغة الأجنبية الأولى للسعودية وبقية العرب . ولكن رغم ما يبدو من هيمنة اللغة الإنجليزية ؛ فإن الجدول (رقم ١) يبين أن هذه السيطرة جاءت حديثًا . ودليل ذلك إن ما نشر باللغات الإنجليزية والألمانية والفرنسية حتى بداية الحرب العالمية الأولى، مع إضافة القليل المترجم، كان متساويًا تقريبًا، وهذا يدل على تمتع الدراسات الشرقية في ألمانيا وفرنسا باحترام أكثر من الدراسات الإنجليزية. أما الدراسات الشرقية في أمريكا فمازالت في مرحلة الطفولة في تلك الفترة .

إن تقدم الدراسات الإنجليزية يمكن ملاحظته خلال العشرينات وخلال الثلاثينات يلاحظ أيضًا أن النشاطات الألمانية والفرنسية قد بدأت تسترد نشاطها . أما خلال سنوات الحرب العالمية الثانية فيلاحظ تقلص البحوث بكل هذه اللغات وبنهايتها استعادت البحوث باللغة الإنجليزية اتزانها فتراوحت نسب النشر من ٧٣,٤٪ خلال ١٩٥٥ – ١٩٥٩ إلى ٨٥,٤٪ في ١٩٤٥– ١٩٤٩ حتى وصلت إلى متوسط ٧٨,٤٪.

النتائج النهائية التي استخلصت من خانات المجموع النهائي في الجداول .

١ – خلال النصف الأخير من القرن الثامن عشر نشر أربعة أعمال فقط عن السعودية تمثل ١,-٪ من مجموع ما نشر حتى الآن، وخلال القرن التاسع عشر نشر ١١٦ عملاً أي ٣,٢٪ مقارنة بـ ٣٤٧٥ أي ٩٦,٧٪ صدرت خلال القرن العشرين . تبين أيضًا ركود النشر عن السعودية في القرن التاسع عشر والربع الأول والثاني من القرن العشرين . ومع

بداية الخمسينات تسارع الإنتاج ونشط وتضخم خلال الثمانينات فكانت نسبة الزيادة من ٢٧،٣٪ إلى ٩٢،٩٪ .
الجدول رقم ٢ يوضح التضخم البحثي الذي بدأ حقيقة منذ عام ١٩٧٣م عندما أصبحت السعودية على كل لسان . فالنفط السعودي والسياسة الخارجية المتفاعلة مع الأحداث والتخطيط التنموي الطموح كان له أكبر الأثر في سوق الكتاب والبحوث بعد عامين فقط من ذلك التاريخ . فقد صدر عام ١٩٨٠م فقط ما يعادل كل ما صدر في الفترة الممتدة من عام ١٧٥٠م وحتى عام ١٩١٩ أي ٢٤١ مطبوعاً مقابل ٢٦١ وهذه الأعوام المئة والسبعون تمثل ثلاثة أرباع الفترة التي غطتها هذه الببليوجرافيا .

الجدول رقم (١) : توزيع العناوين حسب تاريخ نشرها ولغتها من عام ١٧٥٠ - ١٩٨٣م

تاريخ النشر	اللغة					المجموع
	الإنجليزية	الألمانية	الفرنسية	الإيطالية	لغات أوربية أخرى	
١٧٥٠ – ١٧٩٩	١	٣	–	–	–	٤
١٨٠٠ – ١٨٠٩	١	٣	١	–	–	٥
١٨١٠ – ١٨١٩	٢	٢	٥	–	–	٩
١٨٢٠ – ١٨٢٩	١	٣	٣	–	–	٧
١٨٣٠ – ١٨٣٩	٣	٣	٢	–	–	٨
١٨٤٠ – ١٨٤٩	–	٣	١٣	–	–	١٦
١٨٥٠ – ١٨٥٩	٥	٣	٤	–	–	١٢
١٨٦٠ – ١٨٦٩	٦	٥	٣	–	١	١٥
١٨٧٠ – ١٨٧٩	٣	٣	٥	–	–	١١
١٨٨٠ – ١٨٨٩	٨	١٠	٥	–	١	٢٤
١٨٩٠ – ١٨٩٩	٤	٢	٣	–	–	٩
١٩٠٠ – ١٩٠٤	٥	٢	٤	–	–	١١
١٩٠٥ – ١٩٠٩	١٦	١٧	١١	–	١	٤٥
١٩١٠ – ١٩١٤	١٠	١٦	٤	١	١	٣٢
١٩١٥ – ١٩١٩	١٣	١٦	٧	١	–	٣٧
١٩٢٠ – ١٩٢٤	٣١	٧	٩	١	٥	٥٣
١٩٢٥ – ١٩٢٩	٤٣	٢٢	٦	١	٤	٧٦
١٩٣٠ – ١٩٣٤	٥٦	٢٢	١٢	٩	–	٩٩
١٩٣٥ – ١٩٣٩	٣٨	٣٢	١١	١٦	٢	٩٩
١٩٤٠ – ١٩٤٤	٢٨	١٩	٢	٨	١	٥٨
١٩٤٥ – ١٩٤٩	٧٦	٥	٨	–	–	٨٩
١٩٥٠ – ١٩٥٤	١٠٨	١٦	٤	٧	٤	١٣٩
١٩٥٥ – ١٩٥٩	١٣٠	٣٠	١٠	٢	٥	١٧٧
١٩٦٠ – ١٩٦٤	١٨٢	٣٢	٨	٥	١	٢٢٨
١٩٦٥ – ١٩٦٩	٢٧٣	٣٣	٢٨	٢	٢	٣٣٨
١٩٧٠ – ١٩٧٤	٣٥٨	٤٩	٣١	٥	٦	٤٤٩
١٩٧٥ – ١٩٧٩	٦٤٩	١٥٢	٤٩	١١	٥	٨٦٦
١٩٨٠ – ١٩٨٣	٥١٥	١١٠	٤٧	٢	٥	٦٧٩
المجموع	٢٥٦٥	٦٢٠	٢٩٥	٧١	٤٤	٣٥٩٥

إن التراجع الطفيف الذي يلاحظ خلال الأعوام ١٩٨١ – ١٩٨٢ ربما كان طارئًا وله أسباب . هنالك فترة عدة شهور وربما تمتد سنوات بين الإعلان والإصدار الفعلي للمنشور يعقب ذلك مرحلة يستغرقها الإعلان والعرض في الدوريات التي تقتنيها المكتبات وتوردها الأدوات البيليوجرافية المختلفة، التي عادة ما تحدد تاريخًا نهائيًا لعرض المطبوعات وتسجيلها حسب متطلبات التحرير . هذه هي الأسباب علمًا بأن البيليوجرافيا تغطي الفترة حتى ١٩٨٣ .

الجدول رقم (٢) : توزيع العناوين حسب تاريخ نشرها واللغة التي صدرت بها ١٩٧٣ - ١٩٨٣م

تاريخ النشر	اللغة					المجموع
	الإنجليزية	الألمانية	الفرنسية	الإيطالية	لغات أوربية أخرى	
١٩٧٣	٧١	١١	١١	١	٢	٩٦
١٩٧٤	٧٢	١٧	١١	٢	٣	١٠٥
١٩٧٥	١١٦	٢٣	١٢	٣	–	١٥٤
١٩٧٦	١٠٩	٣٠	٤	–	١	١٤٤
١٩٧٧	١٣٤	٣٤	١١	–	٤	١٨٣
١٩٧٨	١٥١	٢٦	١١	٤	–	١٩٢
١٩٧٩	١٣٩	٣٩	١١	٤	–	١٩٣
١٩٨٠	١٩٣	٣٣	١٣	–	٢	٢٤١
١٩٨١	١٥٤	٣٥	١١	–	١	٢٠١
١٩٨٢	١٥٢	٢٢	٢٣	٢	١	٢٠٠
١٩٨٣	١٦	٢٠	–	–	١	٣٧
المجموع	١٣٠٧	٢٩٠	١١٨	١٦	١٥	١٧٤٦

في الفترة بين ١٩٧٣ و١٩٨٢ صدرت ١٧٠٩ أعمال من أصل ٣٥٩٥ مجمل ما سجلته القائمة، وهذا المجموع يمثل ٤٧,٥٪ من كل المجموع منها بالإنجليزي ٦٨,٦٪ عام ١٩٧٤ و٨٠,١٪ عام ١٩٨٠ بينما نسبة العناوين باللغات الأخرى خلال الفترة نفسها كانت ١١٪ عام ١٩٨٢ و ٢٠,٨٪ عام ١٩٧٦ بالألمانية و٢,٨٪ عام ١٩٧٦م و ١١,٥٪ أعوام ١٩٧٣ و ١٩٨٢م بالفرنسية وعليه تكون الإصدارات بالإنجليزية لها الغلبة بدون منافسة . أما الإصدارات باللغتين الألمانية والفرنسية فقد تساويتا في عامي ١٩٧٣ و ١٩٨٢م .

أكدت هذه البيليوجرافيا حقيقة كون الرحالة الإنجليزي الأصل فيلبي، الذي عاش بين ١٨٨٠ – ١٩٦٠م كان بدون منافس أكثر ما ألف عن السعودية .

لقد أمضى خمسة وعشرين عامًا بين ١٩١٧ – ١٩٦٠ بين ربوعها متجولاً كرحالة وباحث ومؤرخ ورجل أعمال وصحفي اعتنق الإسلام وربطته صداقات حميمة مع ابن سعود، وشغل طوال حياته بالبحوث والدراسات عن البلاد السعودية . وقد خصصت له عبارة أعظم المستكشفين العرب نقشت على قبره . أما أبحاثه وكتاباته فبجانب أربعة عشر كتابًا وثمان وعشرين مقالة ضمن هذه القائمة ؛ فإن الكثير من المقالات التي نشرتها جرائد يومية ومجلات أسبوعية ودوائر معارف لم تسجل هنا إضافة للعديد من المخطوطات والتقارير واليوميات والمراسلات التي لم تنشر بعد .

إن المعرفة الحقيقية والإلمام الشامل بالإصدارات في المجال الاجتماعي والاقتصادي والسياسي لا يمكن أن

يقتصر على ما ورد في هذه الببليوجرافيا فقط . فمازال للمهتمين الاطلاع على كمية هائلة من المنشورات والمواد الأخرى المحفوظة في خزائن الأرشيف المختلفة . فهناك مكاتب البعثات القنصلية المختلفة وما بها من تقارير تجارية وإحصاءات ومعاهدات ومذكرات متبادلة وكل هذه لم تسجل هنا بالطبع . وللتاريخ ؛ فإن مصادره محفوظة في أرشيف عدد من الحكومات المختلفة، ونسجل هنا المكتبات التي بها هذه المحفوظات :

في بريطانيا : المكتبة البريطانية . ومكتبة وسجلات مكتب شركة الهند . مكتب السجلات العامة. الجمعية الجغرافية الملكية . وكلها في لندن . مركز دراسات الشرق الأوسط كلية سينت أنطوني في أكسفورد أرشيف السودان في درام .

في فرنسا : الأرشيف الوطني وأرشيف وزارة الشئون الخارجية بباريس .

في روسيا : أرشيف الدولة المركزي في كل من موسكو ولينينجراد .

وكذلك الأرشيف الوطني الإيطالي والإسكندنافي .

جميع هذه الدول الكبرى مضافا إليها النمسا وهنغاريا كان لها ممثلون ومراكز قنصلية في جدة خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين .

أما الإمبراطورية العثمانية ، التي سيطرت على مساحات واسعة من الأراضي العربية حتى القرن العشرين ؛ فإن الأرشيف الوطني بتركيا يضم عدداً ضخماً من الوثائق عن السعودية أيضاً .

أما القوى السياسية الكبرى كالولايات المتحدة فيمكن مراجعة المحفوظات بالأرشيف الوطني بواشنطن والألماني في بون وبوتسدام خاصة أن العلاقات الألمانية السعودية بدأت منذ عام ١٩٣٩م . وكذلك دار المحفوظات بمصر القاهرة والأرشيف الوطني الهندي بنيودلهي والنمساوي في فيينا .

ولابد من الإشارة إلى إمكان الاطلاع على المحفوظات ببريطانيا في ظل قانون ١٩٦٧ الذي يتيح الاطلاع على الوثائق بعد مرور ثلاثين عاماً عليها .

الطرق التي اتبعت في النقل والرصد واستخدام الإرشادات الببليوجرافية :

جرى ذكر البيانات الببليوجرافية التالية :

* اسم المؤلف/ المؤلفين ، المحررين أشخاصاً كانوا أو جهة.
* العنوان الرئيس والشارح .
* عنوان المجلة أو الدورية ورقم المجلد وتاريخ النشر ورقم العدد .
* طبيعة الجهة التي أصدرت المطبوع أو المعهد حتى يكون الإصدار ذا قيمة أكاديمية .
* عدد المجلدات والطبعات في حالة المنشور صدر في أكثر من مجلة أو طبعة .
* مكان / أماكن وسنة / سنوات النشر .
* الناشر / الناشرون مختصراً .
* الترقيم بالحروف العربية والرومانية .

العناصر التي لم تذكر في المداخل تشمل قطع المطبوع وحجمه ، مؤلفي وكتاب المقدمات ، المترجمين ، المصورين ، والرسامين ، عدد الخرائط الجداول ... إلخ وهذه الطريقة لا تتعارض مع الشكل الذي تتبعه المكتبات ومراكز البحوث للرصد والتوثيق .

٢ – النظام الذي اتبع في ذكر البيانات وترتيبها ينسحب على كل المطبوعات مع اختلافها .

٣ – أغلب المداخل تتبع برقم مرجعي من ١ – ٣ وهي أرقام المكتبات الألمانية التي يوجد بها المرجع . وفي الحالات الأخرى جرى ذكر مكتبات أخرى غير ألمانية كبديل آخر لوجود المرجع نفسه ، مما يسهل نظام تبادل الإعارة بين المكتبات .

٤ – ابتعد عن الاستخدام المكثف للاختصارات وحتى تلك الاختصارات التي استخدمت في الفصل الرابع من المقدمة استخدمت أساساً لأنها مألوفة في الممارسات الببليوجرافية الإنجليزية والألمانية والفرنسية .

٥ – رتبت المداخل بأسماء المؤلفين أو المحررين . أما المداخل المتكررة للمؤلف نفسه رتبت حسب تواريخ نشرها. (هذا الترتيب ضعف في الإضافات التي ألحقت في نهاية القسم الببليوجرافي) .

جرى كتابة حروف التعريف العربية ال (- El - Al) بحروف صغيرة ، وتم تجاهلها عند الترتيب إلا إذا كانت جزء مكمل للاسم مثل :

(Almana, M.)

الحروف الأفرنجية البادئة مثل le و de و von قلبت لتضاف إلى نهاية الاسم . أما أدوات وحروف التشكيل العربية جرى تبنيها كلما وردت ، ولم يؤخذ بها عند الترتيب والتسهيل ؛ فإن الهمزة استخدمت للحرف ع وللهمزة أيضًا . حذفت كذلك جميع الألقاب والكنى التي تسبق أسماء المؤلفين كما أن الأسماء الأولى للمؤلفين قد اختصرت للحرف الأول فقط من كل الاسم إلا في حالات إفسادها للترتيب الهجائي فإنها أخذت في الحسبان .

المطبوعات مجهولة المؤلفين رتبت بالعناوين وأضيف لها العناوين الشارحة في حالة وجودها . أما الكلمات التي وردت طباعتها بارزة في الأصل أو مختلفة فقد وضع تحتها خط . أما العناوين باللغات غير الألمانية سوى كانت مقالة أو مصدر للمقالة أو كتاب فقد كتبت بأحرف كبيرة .

كتبت كل عناوين الدوريات في المداخل كاملة وأضيف لها مكان النشر للتفريق بين الدوريات متشابهة العناوين . وتجدر الإشارة هنا إلى مراعاة الدوريات الكثيرة التي غيرت عناوينها مثال :

Moslim World أصبحت Muslim World

Aramco World أصبحت Aramco World Magazine

حذف رقم العدد من المداخل عندما تكون المقالة في إصدار ينشر بأرقام متتالية خلافًا لذلك ؛ فإن رقم العدد يظهر بين قوسين بعد رقم المجلد وسنة الطبع وأتبع الترتيب نفسه في حالة عدم وجود ترقيم لصفحات المقال .

صححت أسماء المؤلفين والعناوين بدون تعليق ، ويقصد بالتصحيح ما كتب باللغة القديمة خاصة في طريقة كتابة الأسماء والحروف مثل Hedjaz .

في حالة وجود مؤلفات عدة لمؤلف واحد وفي مطبوع واحد أدخلت جميعها في مدخل ورقم واحد ويفصل بين كل مقالة وأخرى بشرطة مثل ذلك المدخل ٨٨٤ . أما الكتاب الجامع لعدد من المقالات في الموضوع نفسه فعدّ مدخلاً واحدًا وأعطي رقمًا واحدًا مثل ٢٢٦٦ . وحتى يتفادى تكرار المداخل؛ فإن الأرقام حذفت من فهرس الموضوعات .

لم ترصد البيبليوجرافيا ما صدر باللغة العربية في المطبوعات الحكومية السعودية بلغات مزدوجة . كما أن الطرق المختلفة التي كتبت بها أماكن النشر في المطبوعات الحكومية جرى توحيد كتابتها مثل Jaddah و Riyadh ولكن لم يطبق ذلك على مدينة الرياض عندما تكون مقرونة باسم مثال جامعة الرياض فكتبت Riyad .

حذفت أماكن النشر في حالة اقترانها بأسماء هيئات أكاديمية مثل جامعة أكسفورد أو جامعة الرياض ... إلخ .

الكتب التي صدرت في مجلدات متعددة ونشرت في أماكن والناشرين مختلفين فإنها ذكرت يفرق بينهم بشرطة طويلة مثال المدخل ١٤٥١ .

يعترف الجامع بأن المعلومات البيبليوجرافية لأغلب المطبوعات الحكومية الأمريكية للسنوات العشر السابقة أخذت من فهرس الرسائل الجامعية ومستخلصات الرسائل الجامعية من إصدارات UMI ينوفيرستي ميكروفلم وتاريخ النشر لهذه المداخل اعتمد التاريخ الذي منحت فيه الجامعة المختصة الرسالة وليس تاريخ آخر كما أن عدد الصفحات يكون مجموع الأرقام العربية مضافًا إليها الأرقام الرومانية للصفحات .

الرموز الخاصة بكل مكتبة والمسجلة في المداخل أخذت من القواعد الاتحادية لمكتبات جمهورية ألمانيا الاتحادية ورموز معهد الدراسات الشرقية الألماني . أما المكتبات فهي التي تحتفظ بالمداخل التي وردت في كل القائمة البيبليوجرافية هذه . ومما يجدر ذكره أن هنالك قائمة مضمنة لهذه المكتبات ورموزها وعناوينها أيضًا مما يتيح خدمة الاقتناء بالتصوير أو بتبادل الإعارة بين المكتبات ، وقد أعطى أسماء المكتبات الثلاث التي تحتفظ بالمرجع ، وذلك بين شرطتين في نهاية المدخل . أما التركيز على ثلاث مكتبات فقط بسبب وجود العديد من المكتبات العامة التي بها عدد من هذه المراجع ولكن تركيز الجامع كان على مكتبات البحوث خاصة صاحبة الاهتمام بالاستشراق ومعظمها في شتودجارت وهي :

١ – مكتبة ولاية ورثيمبيرج في شتودجارت ، وبها مجموعة ضخمة من كتب الرحلات من القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . ولكونها مكتبة عامة فقد استفادت من شتودجارت مركز صناعة النشر بعد الحرب العالمية الثانية . وفي المبنى نفسه توجد مكتبة التاريخ الحديث المهتمة بالمنشورات ذات العلاقة بالموضوع خاصة في حقبات قبل القرن الثامن عشر .

٢ – مكتبة معهد العلاقات الثقافية الأجنبية في شتودجارت وهي حديثة مقتنياتها ثلاث مئة ألف مجلد وثلاثة آلاف دورية في حقول دراسية لمناطق جغرافية عالمية .

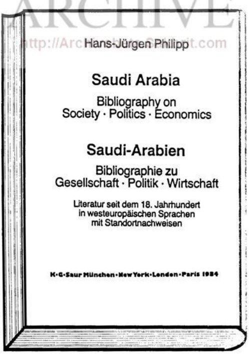
٣ – مكتبات جامعات هوهينهيم وشتودجارت وكلاهما للبحوث وبهما مصادر سخية خاصة في الجوانب التي تغطيها مقرراتها الدراسية في الموضوع .

٤ – مكتبة جامعة توبينجن ، وتحتفظ بكل كتب الدراسات الشرقية منذ القرن السادس عشر . ونتيجة لثراء قيمة مجموعتها فقد حصلت على مساعدات مالية كبيرة من اتحاد البحوث الألمانية السريعة لضمان استمراريتها خاصة في ما بين الحربين العالميتين واستمرت المساعدات المالية لها، وهي تعد الآن أكبر مخزن للمنشورات السعودية في ألمانيا .

٥ – مكتبة المعهد الجغرافي جامعة توبينجن انضمت عام ١٩٧٢ للمجلس المتعاون للبحوث الخاصة بالمناطق ، الذي يموله أيضًا اتحاد البحوث الألماني وتعد منطقة الشرق الأوسط من أهم المناطق في تخصص المعهد .

رجع المؤلف في تجميع هذه الببليوجرافيا إلى المكتبات التي عرفت بتخصصها في اقتناء الدوريات ، وتم رصدها مستعينًا بمركز المعلومات الألماني للدوريات في برلين، وتوصل إلى أن المكتبات التي يعتمد عليها في هذا المضمار تحمل الرموز ١ + ٥ + ٢١ + ٢٤+٢٥ + ٩٠ + ٩٣ + ١٨٠ + ١٨٨ + ٢٨٩ + ٢٩١ + ٣٥٢ .

كل العناوين داخل هذه الببليوجرافيا أعطيت أرقامًا متسلسلة لسهولة الإحالة إليها في الفهارس الملحقة . ورغم أنها لم تصدر مشروحة أو مصنفة موضوعيًا إلا أن وجود أربعة منها تعد مفيدة للغاية وأكثرها أهمية فهرسة الموضوعات ، الذي يضم أكثر من مئة وواحد وسبعين رأس موضوع . وقد اختارها المؤلف أو استعارها من قاموس الاقتصاد والتنمية الاجتماعية الذي صدر في بون ، وفي ملاحق قاموس الشرق الصادر في هامبورج . وفي هذا المجال نقول إن كل نظم التصنيف والفهرسة الحقيقية في صناعة الببليوجرافيات توجد عناصر غير مواكبة للموضوع الذي وضعت فيه وعلى المستخدم وضع ذلك في الحسبان والسياحة بين رءوس الموضوعات المحتملة.


Hans-Jürgen Philipp

Saudi Arabia

Bibliography on
Society · Politics · Economics

Saudi-Arabien

Bibliographie zu
Gesellschaft · Politik · Wirtschaft

Literatur seit dem 18. Jahrhundert
in westeuropäischen Sprachen
mit Standortnachweisen

K·G·Saur München·New York·London·Paris 1984

وإضافة للفهرس الموضوعي فهناك فهرس المؤلفين والمحررين ثم المنظمات والمشاركين. وهذه الفهارس باستثناء المدخل ٨؛ فإن الببليوجرافيات الواردة هنا لم تضمن بالفهارس بحكم أنها ببليوجرافيات . أما المدخل ٨ فقد جاء في الفهارس ؛ لأنه يتضمن قائمة ببليوجرافية في صفحتين والنص عن تاريخ الطباعة والنشر في المملكة العربية السعودية .

الرسائل الجامعية

التخطيط للدعوة الإسلامية - دراسة تأصيلية

رسالة ماجستير لعبدالمولى الطاهر المكي

المكي ، عبدالمولى الطاهر / التخطيط للدعوة الإسلامية – دراسة تأصيلية .- رسالة ماجستير ؛ بإشراف مصطفى صيام .- الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية الدعوة والإعلام ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، ٥٨٥ ورقة .

الملخص

تناولت هذه الدراسة : التخطيط للدعوة الإسلامية من حيث مفهومه وأنواعه ، وضوابطه ، وأهميته للدعوة الإسلامية ومشروعيته في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وعناصره الأساسية التي يقوم عليها ، وأهم أشكاله في المجتمع الإسلامي، وتأثيره في نجاح الدعوة . وكذلك تعرضت الدراسة لأهم العقبات والعوائق التي تحول دون التخطيط السليم للدعوة في العصر الحاضر ، وتقديم بعض الحلول والمقترحات لمواجهة تلك العقبات ، ثم ختمت الدراسة بملخص لأهم النتائج التي توصلت إليها وبعض المقترحات والتوصيات التي يرغب الباحث في أن تسهم في تسديد مسيرة الدعوة الإسلامية في واقعها المعاصر .

يهدف هذا البحث إلى ما يلي :

١ – الإسهام في توضيح الأسلوب الصحيح في الدعوة إلى الله في المجتمع الإسلامي .

٢ – تحديد عناصر التخطيط الدعوي .

٣ – بيان إيجابيات التخطيط وسلبيات تجاهله في الحقل الدعوي ، والتعرف إلى العقبات التي تحول دونه في المجتمع الإسلامي وطرق مواجهتها .

٤ – إظهار الصورة الواقعية للتخطيط للدعوة في المجتمع الإسلامي .

٥ – التعرف إلى آراء علماء العصر الحاضر في التخطيط الدعوي .

تساؤلات البحث :

أسئلة عديدة تثيرها هذه الدراسة منها :

– ماذا يقصد بالتخطيط ؟

– وما أنواعه ؟

– وماذا نقصد بالتخطيط للدعوة الإسلامية ؟

– وهل هذا التخطيط مشروع ؟

– وما عناصره ؟ وما ضوابطه ؟

– وما تأثير التخطيط في نجاح الدعوة ؟

– وما مقوّمات التخطيط للدعوة في المجتمع الإسلامي؟

– وهل هناك عقبات تقف دون التخطيط للدعوة ؟ ، وما سبيل علاجها ؟

– وما رأي علماء العصر الحاضر في التخطيط للدعوة ؟

منهج البحث :

إنّ طبيعة هذه الدراسة تقتضي استخدام مناهج متعدّدة وصولاً للغاية التي أسعى إليها ، وقد حاولت أن أنتهج – بعون الله وتوفيقه – المنهج العلمي السليم ، حيث استقيت المادة العلمية في معظمها من المصادر الأصلية وبعض المراجع الحديثة ، وهذا ما جعل منهجي خلال هذه الدراسة يتضمّن اتجاهين رئيسين :

الاتجاه الأول - المنهج التاريخي :

بما أن الدراسة نظرية تأصيلية لموضوع التخطيط للدعوة الإسلامية فقد ركزت على دراسة السيرة النبوية من مصادرها الأساسية ، واستخلص الباحث ما ظهر

له فيها من شواهد ودلالات على التخطيط للدعوة ، هذا مما ألزمه استخدام المنهج التأريخي القائم على دراسة الماضي طبقًا لما تركه من آثار ، وقد أعان الباحث في التزام هذا المنهج المصادر الأولية الأصلية وبعض الدراسات التحليلية ، وكتب فقه السيرة .

الاتجاه الثاني - منهج المسح :

بما أن هذا البحث يعد من البحوث الوصفية ؛ فإنه من المناسب استخدام صياغة منهج المسح ، حيث إنه يعد واحدًا من المناهج الأساسية في البحوث الوصفية التي تهتم بدراسة الظروف الاجتماعية والسياسية لحل مشكلات المجتمع .

أدوات البحث

أ - **الاستبانة** : أخذ الباحث رأي العلماء في العصر الحاضر في بعض موضوعات التخطيط للدعوة الإسلامية من خلال أكثر من استبانة وزعها على مجموعة من العلماء المتخصصين في مختلف المجالات العلمية ، وقد حصل من خلال تلك الاستبانات على آرائهم ، وقد تخيّر مجموعة منها وصاغها بأسلوب علمي في ملحق في آخر الرسالة وذلك لتكرار بعض الإجابات عن الأسئلة .

ب - **المقابلة** : قام الباحث بمقابلات شخصية لعدد من العلماء المختصين في العلوم الشرعية والعلوم الاجتماعية واستعان بآرائهم في موضوعات التخطيط المختلفة .

تقسيم الدراسة :

جاءت خطة البحث من تمهيد وخمسة فصول ، تعرّض التمهيد للتعريف بمصطلحات الدراسة ، وصياغة الدعوة لغة واصطلاحًا ، والتخطيط لغة واصطلاحًا ، ثم ذكر الباحث أنواع التخطيط بصفة عامة ، وبيّن مفهوم التخطيط للدعوة الإسلامية ، وأهم الفوائد التي يحققها للدعوة ، ثم ذكر الباحث الضوابط التي تميزه عن غيره .

ثم جاء **الفصل الأول** من الدراسة تحت عنوان «مشروع التخطيط في القرآن والسنة» حيث قسمه الباحث إلى مبحثين ، تناول في المبحث الأول مشروعيته في القرآن مستدلاً لذلك ببعض الآيات التي يستنبط منها المشروعية بعد الرجوع إلى التفاسير المعتمدة والموثوقة وأقوال العلماء المعاصرين .

وفي المبحث الثاني تناول مشروعية التخطيط في السنة النبوية الشريفة مستشهدًا ببعض الأحاديث والمواقف العملية والتقريرية للرسول ﷺ في سيرته وحتى وفاته، وذلك بعد الرجوع فيها إلى مصادرها الأصلية .

أما **الفصل الثاني** فخُصِّص لعناصر التخطيط الدعوي ، وهي : معرفة الواقع ، وتحديد الأهداف وتحديد الوسائل المستخدمة .

فالمبحث الأول معرفة الواقع : تعرّض للواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والديني الذي كان قائمًا عند ظهور الدعوة الإسلامية ، وكيف كان تخطيط الرسول ﷺ لتغييره .

والمبحث الثاني : **تناول الأهداف الرئيسة التي وضعها الرسول ﷺ وسعى لتحقيقها منذ بعثته وحتى وفاته .**

أما المبحث الثالث : فكان عن أهم الوسائل التي استخدمها الرسول ﷺ في ضوء معرفته لواقع بيئته ، وبعد تحديد الأهداف التي كان يسعى إليها .

أما **الفصل الثالث** : فكان عن أشكال ومقوّمات التخطيط الدعوي في المجتمع الإسلامي ، وقد تحدث الباحث في المبحث الأول منه عن أشكال ومقومات التخطيط للدعوة الفردية ، وفصّل في ذلك بعد أن بيّن الفرق بينها وبين الدعوة الجماعية ، ودلّل على ذلك بأمثلة من القرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة .

وفي المبحث الثاني تناول أشكال ومقوّمات التخطيط للدعوة الجماعية ، وذكر أهم المقومات الأساسية التي يجب أن تتوافر في التخطيط للدعوة الجماعية .

أما المبحث الثالث فخصص للحديث عن أشكال التخطيط للهيئات والمؤسسات الدعوية في المجتمع الإسلامي ، وتناول أهم المقوّمات الأساسية للتخطيط لتلك المؤسسات مسترشدًا في ذلك بمواقف وشواهد من القرآن

الكريم والسيرة النبوية ، ثم بعض أقوال وآراء القائمين على تلك المؤسسات في المجتمع الإسلامي .

أما **الفصل الرابع** ، فقد تناول تأثير التخطيط في نجاح الدعوة وقسَّم إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : معرفة المواقع الخصبة ، وبيّن الباحث فيه أن الدعوة عندما تكون قائمة على تخطيط سليم تستطيع أن تعرف القدرات البشرية التي توظفها في أماكنها المناسبة .

أما المبحث الثاني : فكان عن تنظيم وترتيب العمل .

وختم هذا الفصل بمبحث عن إمكانية تقويم العمل الدعوي ، بيّن الباحث فيه أهم الأسس التي يقوم عليها هذا التقويم وذكر بعض الشواهد من القرآن الكريم والسنة النبوية .

وفي **الفصل الخامس** : تناول أهم عقبات التخطيط الدعوي في المجتمع الإسلامي وسبل مواجهتها وقسَّمه إلى أربعة مباحث :

خصص المبحث الأول : للكلام في البعد عن المنهج الإسلامي الصحيح ، وكيف أنه يمثّل عقبة كأداء أمام التخطيط السليم للدعوة ، وما العوامل التي أسهمت في هذا البعد، وبعض طرق مواجهتها .

أما المبحث الثاني : فتناول الجهل بمخططات الأعداء وذكر نماذج وشواهد على ذلك وأهم الوسائل والأساليب وكيفية التصدّي لهذه المخططات .

أما المبحث الثالث : فقد تناول قضية ندرة الدعاة المؤهلين ، وقد أبرز كيف أنها تُعدّ عقبة أمام التخطيط السليم وأهم أسبابها ومظاهرها وبعض طرق علاجها مستشهدًا في ذلك بالواقع المعاصر وأقوال وآراء بعض العلماء المعاصرين والمهتمين بأمر الدعوة الإسلامية .

أما المبحث الرابع : فكان عن ضعف التنسيق بين الجهات القائمة بأمر الدعوة في المجتمع الإسلامي ، وقد تناول مفهوم التنسيق ومبرراته وأساليبه وواقعه في المجتمع الإسلامي ، وقدم الباحث بعض المقترحات في سبيل علاج ذلك الضعف .

وختم الباحث دراسته بخلاصة بيّن فيها نقاط تشكل أهم النتائج التي توصل إليها وضمنها بعض التوصيات والاقتراحات التي أمل الانتفاع بها .

ولإعانة القارئ على مطالعة البحث وجزئياته بسهولة وضع الباحث فهرسًا للمصادر والمراجع حسب الترتيب الأبجدي لتلك المصادر والمراجع ، وفهرسًا ثانيًا للآيات القرآنية ، وفهرسًا للأحاديث النبوية ، والآثار ، وفهرسًا لموضوعات البحث .

الإسلام والتغير الثقافي والاجتماعي

لدى بعض الجماعات الإفريقية المقيمة بمكة المكرمة - (دراسة ميدانية)

رسالة ماجستير لفراج عطا سالم

سالم ، فراج عطا . الإسلام والتغير الثقافي والاجتماعي لدى بعض الجماعات الإفريقية المقيمة بمكة المكرمة (دراسة ميدانية) : إشراف سعاد علي حسن شعبان و توفيق الحسيني . — القاهرة : جامعة القاهرة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م .

اختار الباحث من بين مجموعات القبائل الأفريقية المقيمة في مكة المكرمة، مجموعتين هما، مجموعة قبائل الهوسا ، ومجموعة قبائل الفولاني . وهذه الدراسة تجمع بين صنفي الدراسة العلمية الأنثروبولوجية وهما الدراسة النظرية ، والدراسة الميدانية أو الحقلية .

هذا ؛ وقد تم تقسيم هذا البحث إلى فصول ستة، وسوف يتم استعراض كل فصل منها على حدة بشيء من

الإيجاز ، وقد اشتمل الفصل الأول النقاط التالية :

١ - أهمية البحث والغرض من الدراسة والدافع لها.

٢ - مجالات البحث الثلاثة ، وهي :

أ - المجال البشري : ويشمل عينات من مجموعتي قبائل الهوسا والفولاني .

وكان لابد من الحديث عن حجم المجموعات الأفريقية المقيمة بمكة المكرمة ، وذلك لإبراز الصعوبات التي واجهها في تحديد تلك العينات ومجموعات البحث .

ب - المجال المكاني : ويشمل منطقة مكة المكرمة، وقد استعرض الباحث أولاً التعريفات التي تحدثت عن مكة ثم وصفها ، وموقعها ، وحدودها ، ثم تحدث عن أحياء مكة المكرمة الستة ، وسكان كل حي من المجموعات الأفريقية التي تقيم في مكة المكرمة ، ومنها مجموعتا البحث .

ثم تحدث عن مساكن مجموعة قبائل الهوسا والفولاني في مكة المكرمة . ولعل كل النقاط الثلاث مرتبطة بالمجال المكاني .

٣ - المنهج : وفيه تحدث الباحث عن المناهج الثلاثة التي استخدمها في هذا البحث وهي : (١) المنهج الأنثروبولوجي ، (٢) المنهج الوصفي (٣) المنهج التاريخي المقارن .

ثم استعرض الباحث الطريقة المستخدمة في البحث وهي طريقة العينة وتعريفها وأنواعها والعينة التي وقع عليها الاختيار ، وهي العينة الطبقية ، وكيفية اختيار أفرادها من مجتمع البحث ، وفي نهاية المنهج استعرض الأساليب ، والأدوات المستخدمة في هذا البحث ، وهي الملاحظة بنوعيها بالمشاركة ، وبدون مشاركة ، وعرفها بإيجاز .

ثم استعرض الأسلوب الثاني ، أو الأداة الثانية من أدوات جمع البيانات ، وهي المقابلة وأنواعها، التي استخدمها في هذه الدراسة ، وقد عرف كذلك بها وبأنواعها وباختصار شديد ، ثم أتبعها باستمارة الاستبيان أو المقابلة .

وأخيراً فقد تحدث عن تحليل البيانات ، وتفسيرها ، وتعريفها ومناهج التفسير وما اتبعه منها ، ثم ختم هذا الفصل بالحديث عن الصعوبات التي واجهها في هذا البحث .

٢ - الفصل الثاني - المفهومات الإجرائية:

وقد تناول فيه بشيء من الإيجاز أحياناً ، وبشيء من التفصيل أحياناً ، المفهومات التي استخدمها الباحث في هذه الدراسة ، وهي التغير ، التغير الثقافي ، عوامل التغير الثقافي ، التغير الاجتماعي ، عوامل التغير الاجتماعي ، التغير الجنائي والفرق بينه وبين التغير الاجتماعي ثم الثقافة والبناء الاجتماعي ، والعلاقات التي تربط بينهما ، والاختلاف بين دراسة كل منهما ، وخلص إلى أن دراسته هذه تشملها معا .

وأخيراً فقد استعرض المناهج المتبعة في الدراسة ، وهي المنهج التاريخي في دراسة التغير الثقافي والاجتماعي ثم المنهج المقارن وأنواعه المختلفة ، وأشار إلى ما ينطبق على الدراسة .

٣ - الفصل الثالث - الدراسة الأنثروبولوجية للدين :

بدأ الباحث هذا الفصل بتعريف الدين لغوياً ، وعند علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع ، ثم المفهوم الإسلامي للدين . ثم فرق بعد ذلك بين التغير الاجتماعي ، والتغير الديني . ثم استعرض تطور الدراسات الأنثروبولوجية للدين ، والدراسات والمذاهب المختلفة ، اعتباراً من المذهب الحيوي ، ومذهب الطبيعيين ، والمدرسة الاجتماعية الفرنسية ، ومذهب الأديان المنزلة .

كما تناول هذا الفصل التمييز بين الدين والسحر ، وأنواع السحر المختلفة ، ونظرة الإسلام للسحر .

ثم تناول البحث الأنثروبولوجيا الدينية ، وهي التخصص الدقيق لهذا البحث وعلاقتها بعلم الاجتماع الديني، وما يشتركان فيه من أساليب وطرق وما يختلفان فيه.

وكان لابد من تناول تأثير الدراسات الأنثروبولوجية للدين على الدراسات السوسيولوجية للدين ، والتي كان لها فضل السبق في دراسة الدين على دراسة علم الاجتماع له.

وقد انتهى هذا الفصل بعرض لثلاثة أشكال مجتمعية يختلف في كل منها الدين وأنماطه المختلفة وأنساقه الثلاثة التي تشكل هذا البناء ، وهي :

أ - النسق الفكري أو الاعتقادي .

ب - نسق الفعل أو الشعائر والطقوس .

جـ النسق المجتمعي أو نسق التفاعل الاجتماعي .

ثم استعرض الباحث النموذجين الأول والثاني ، بشيء من التفصيل ، حيث يرى الباحث أنهما ينطبقان على مجتمعي البحث ، حيث ينطبق الشكل الأول على البيئة الأفريقية السابقة ، لمجموعتي قبائل الهوسا والفولاني ، وينطبق الشكل الثاني على مجتمع مكة المكرمة.

٤ - الفصل الرابع - الهجرة الأفريقية إلى مكة المكرمة ، وقد قسم إلى ستة أقسام:

١ - قدوم الجماعات الأفريقية وهجرتها إلى مكة المكرمة : وقد بدأ بتعريف الهجرة ، وعواملها وأسبابها .

٢ - أسباب هجرة الجماعات الأفريقية إلى مكة المكرمة .

٣ - تواريخ الهجرات إلى مكة المكرمة وأحجامها ، وذلك من خلال العينات التي قابلها الباحث ، كما استعان كذلك بالبحث المشار إليه عندئذٍ عن الهجرة الوافدة إلى المملكة العربية السعودية .

٤ - صعوبات الهجرة من أفريقيا إلى مكة المكرمة .

٥ - طرق ووسائل الهجرة .

٦ - وأخيراً ؛ ختم الفصل بالحرف والأعمال الأفريقية في مكة المكرمة .

٥ - الفصل الخامس - أنماط الحياة الثقافية والاجتماعية لمجموعتي قبائل الهوسا:

أولاً - في البيئة الأفريقية السابقة :

بدأ هذا الفصل بالتعريف بمجموعة قبائل الهوسا ، وأصولهم، وأماكنهم، ولغتهم ، وتأثر لغتهم باللغة العربية .

وقد اختيرت بعد ذلك نماذج وأنماطاً ثقافية واجتماعية لهم تعرض لعاداتهم فيها وتقاليدهم وشعائرهم وأعرافهم، وهي : الزواج، الختان ، الطلاق ، الوفاة والدفن ، والطقوس والشعائر الدينية ، الأعياد ، وقدعرض الباحث للفرق الدينية في أفريقيا بصفة عامة ومنها مجتمع البحث في أفريقيا حيث كانت تقطن مجموعتا البحث "الهوسا والفولاني" وذلك لما لهذه الفرق الدينية من تأثير على الاتجاه الديني وسلوك أفراد تلك المجموعات وتقاليدهم .

ثم تحدث عن الأضاحي والقرابين في أفريقيا وعند مجموعة قبائل الهوسا .

ثانيًا - في البيئة الحالية في مكة المكرمة : وهو بالعنوان السابق ولكنه في المجتمع الثاني لمجموعتي قبائل الهوسا والفولاني أقصد في مكة المكرمة ، كنوع من الدراسة المقارنة بين المجتمعين ، وقد تضمن الأسس والأنماط السابقة في البيئة الجديدة.

٧ - الفصل السادس - أنماط الحياة الثقافية والاجتماعية لمجموعة قبائل الفولاني:

أولاً : في البيئة الأفريقية السابقة :

وقد سار في هذا الفصل على منوال الفصل الخامس وأخذ الأنماط الثقافية والاجتماعية التي اختارها لدراسة مجموعة قبائل الهوسا .

وقد ذيل كل فصل من الفصول السابقة بتلخيص تضمن رأي الباحث فيما تناوله الفصل .

٨ - الفصل السابع - نتائج الدراسة :

وقد تضمن هذا الفصل النتائج التي وصل الباحث إليها بناء على نظريات التغير الثقافي والاجتماعي ونظريات الدين والبناء الديني والمفاهيم الجديدة لعلم الاجتماع الإسلامي والنظرة الحديثة لبناء الدين في المجتمعات الإسلامية وما ورد فيها من مفاهيم في هذا البحث .

وقد ذيلت الدراسة بالملاحق والصور والأشكال التي تعين على فهم هذه الدراسة وتؤكد نتائجها وأنماط النشاط الثقافي والاجتماعي والنماذج الدينية والسلوكية لمجتمعي الدراسة " الهوسا والفولاني" وأخيراً رتبت المراجع العربية بقسميها : الكتب والدوريات ثم المراجع الأفرنجية .

رد على مراجعة كتاب
قواعد الفهرسة الأنجلو - أميركية
الطبعة الثانية مراجعة 1988

محمد فتحي عبدالهادي
نبيلة خليفة جمعة
يسرية عبدالحليم زايد

استهلال

ذكرنا في مقدمة الطبعة العربية الأولى لقواعد الفهرسة الأنجلو – أميركية في طبعتها الثانية مراجعة عام ١٩٨٨ تلك التي صدر المجلد الأول منها عام ١٩٩٤ أن هذه الطبعة موجهة لدارسي الفهرسة في أقسام المكتبات والمعلومات العربية والأساتذة ومدرسي الفهرسة الوصفية وللمفهرسين في المكتبات ومراكز المعلومات العربية على أمل أن تكون مفيدة بالنسبة لهم جميعًا ومع رجاء إبداء الملاحظات والتعليقات عليها.

ولذلك كانت سعادتنا غامرة عندما وصل إلى علمنا أن هناك تحليلاً ونقدًا للزميل الأستاذ محمود أتيم نشره في المجلة العربية للمعلومات (العدد الأول، ١٩٩٥)(١)، ومن ثم بذلنا جهدًا كبيرًا من أجل الحصول على العدد الذي نشر به التحليل والنقد، إلا أننا أصبنا بدهشة بالغة بعد قراءة المادة التي كتبها الزميل الفاضل الأستاذ محمود أتيم، فقد اتسم تحليله ونقده بالذاتية المفرطة، والبعد عن الموضوعية وتجاهل أو حتى قلب الحقائق الأساسية في المجال بقصد أو بدون قصد. وقررنا في البداية أن نتجاهل ما كتبه، وكان يجب عليه أن يدرك المغزى من وراء ذلك، إلا أنه عاود نشر مادته مرة أخرى بألفاظها نفسها تقريبًا في عدد مارس/أبريل ١٩٩٦م من مجلة «عالم الكتب»(٢) مما أجبرنا على كتابة هذا الرد المقتضب دون دخول في تفصيلات.

حقائق ...

نود أن نضع أمام الناقد المبجل وأمام القراء الأعزاء الحقائق التالية:

١ – يبدو أن الاستاذ محمود أتيم لم يطلع على منهاج النشر وشروطه لعالم الكتب، الذي ينص في أحد بنوده «ألا تكون [المادة] قد نشرت من قبل ولم ترسل إلى مجلة أخرى»، فقد سبق أن أشرنا إلى أنه نشر المادة نفسها من قبل في المجلة العربية للمعلومات، العدد الأول ١٩٩٥.

٢ – أن المقال الذي نشره الأستاذ أتيم بعنوان «هل نحن بحاجة إلى طبعة عربية ثانية لقواعد الفهرسة الأنجلو أميركية المعربة؟» في رسالة المكتبة، عدد مارس ١٩٩٢(٣) لم يدع فيه صراحة إلى إصدار طبعة عربية ثانية للقواعد كما يدّعي في عرضه المنشور بعالم الكتب. فقد ذكر في بداية مقاله [ص ٥]

«... هل بلغت المراجعات حداً يتطلب إصدار طبعة عربية ثانية لهذه القواعد؟ لعل أبلغ جواب على ذلك هو تحديد حجم هذه المراجعات يُترك بعده للقارئ الكريم والمكتبات العربية المعنية تقرير ذلك والحث على

إصدار تلك الطبعة إن قررت الحاجة إليها».

وبعد استعراضه للمراجعات أنهى مقاله بالتساؤل مرة أخرى [ص ١٧] «فهل يرى القارئ الكريم ضرورة لإصدار طبعة ثانية لقواعد الفهرسة الأنجلو - أميركية المعربة»؟

٣ – يشتمل الوصف الببليوجرافي لطبعة قواعد الفهرسة موضوع العرض الذي أعده الأستاذ محمود أتيم على أخطاء فادحة لا يقع فيها أي مفهرس مبتدئ.

وقد قلنا لعل هذا الوصف من إعداد غيره، إلا أن تكرار الوصف الببليوجرافي بالصورة نفسها في كل من «المجلة العربية للمعلومات» و«عالم الكتب» يجعلنا نؤكد أنه لا صلة بين المجلة والوصف غير الدقيق الذي أعده الخبير إذا كان قد اعتمد على «القواعد» التي يتحدث عنها.

٤ – ذكر الأستاذ محمود أتيم أنه جاء في مقدمتنا أن القواعد المعربة السابقة التي أصدرتها جمعية المكتبات الأردنية في عام ١٩٨٣ لم تخضع للتحديث وأن هذا الكلام غير صحيح.

ونرجو من القارئ الكريم أن يرجع إلى مقدمتنا [ص٧ – ٨] للقواعد التي قمنا بتعريبها ليكتشف أن ما ذكره الأستاذ أتيم غير صحيح على الإطلاق بل على العكس من ذلك باركنا جهده وذكرنا [ص ٧] «وقد بدأ هذا الاتجاه الأخير [أي: توافر النصوص الكاملة للقواعد بالعربية بين أيدي دارسي الفهرسة...] يأخذ مساره الصحيح منذ أوائل الثمانينات من القرن العشرين حين تمت ترجمة الطبعة الثانية من قواعد الفهرسة الأنجلو – أمريكية بواسطة جمعية المكتبات الأردنية والتي مضى على صدورها الآن أكثر من عشر سنوات».

وما نشره المعرّب في المجلة العربية للمعلومات عام ١٩٨٥ وعام ١٩٨٨ نحن نعرفه جيداً، ولكن: ألم تكن تعديلات ١٩٨٢ معروفة قبل صدور الطبعة المعربة الصادرة عام ١٩٨٣.

٥ – أن التعريب الذي قمنا به والخاص بالطبعة الثانية المراجعة لا علاقة له بطبعة ١٩٧٨ التي عرّبها أتيم، وقد اعترف هو نفسه بذلك. وبالتالي فإن طبعتنا هي الطبعة العربية الأولى للطبعة الثانية المرجعة من القواعد والتي صدرت عام ١٩٨٨ أي بعد عشر سنوات من صدور طبعة ١٩٧٨. ونود هنا أن نطمئن الأستاذ أتيم بأننا خاطبنا الجهة الأصلية للنشر فينا يتعلق بالطبعة الثانية المراجعة. وفي الوقت نفسه فإننا نحيل القارئ الكريم إلى التعريب الذي قام به الأستاذ أتيم ونشره عام ١٩٨٣ لكي يكتشف بنفسه أنه لا توجد إشارة على صفحة عنوان التعريب أو على ظهرها أو في أي مكان بالكتاب إلى تخويل أصحاب حقوق النشر بالتعريب.

٦ – يرى الأستاذ أتيم أنه من غير المناسب أن يصدر تعريبًا في مجلدين، إلا أننا نرى أن التعريب الكامل يقع في مجلدين سميكين للأسباب التالية:

أ – ليس هناك من ضرر في صدور أداة عمل ضخمة في مجلدين أو في أكثر من ذلك فقائمة رءوس موضوعات مكتبة الكونجرس وهي هجائية الترتيب تقع في أكثر من مجلدين كما أن تصنيف ديوى العشري يقع في أكثر من مجلدين.

ب – أن عدد صفحات المجلدين بلغ أكثر من ١٢٠٠ صفحة فهل من الممكن وضع أكثر من ١٢٠٠ صفحة في مجلد واحد ويكون سهلاً في الاستخدام.

جـ – أن ناشر تعريبنا لم يتلق دعمًا قدره نحو خمسة عشر ألف دولار كما حدث بالنسبة لتعريب أتيم

الصادر عام ١٩٨٣[٤]، ولو كان ناشرنا قد حصل على ربع هذا الدعم لتغيرت صورة النشر كثيرًا.

ومع هذا؛ فإننا نقدر لناشرنا إقدامه وجرأته على نشر هذا العمل الضخم في شكل مشرف.

المصطلحات

١ – إن طبعتنا الحالية لم تستخدم مصطلحات جديدة، ولم تتجاهل كل ما سبقها من جهد في توحيد هذه المصطلحات، فقد اعتمدنا على المصطلحات التي سبق ورودها في التعريب الذي قام به أستاذ مشهود له بالكفاءة بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم[٥]، ونوقش التعريب في المحافل العربية المختلفة، وتم إقراره في المؤتمر الثاني للإعداد الببليوجرافي للكتاب العربي، وكان من المفروض أن يلتزم الأستاذ أتيم بما جاء به في تعريبه.

أما ما ذكره الناقد المبجل بشأن «تدوبات» فهي كلها أو معظمها من ترجمته هو، وهي تمثل رؤية شخصية ولم يتفق عليها، ولم تحظ بقبول عام بدليل أنه لا يشيع استخدامها في المكتبات العربية.

والغريب أن تظهر على صفحات عناوين «تدوبات» المعربة كلمات مثل: إعداد أو إعداد وتعريب أو تعريب.

فقد ورد على صفحة عنوان الطبعة العربية الثانية من التقنين الدولي للوصف الببليوجرافي للكتب (١٩٩١) إعداد محمود أحمد إتيم بينما ورد على صفحة عنوان الطبعة الأولى تعريب محمود أحمد إتيم.

فهل تغير الأمر بصورة جوهرية لدرجة تبرر جعل التقنين «الدولي» من إعداده هو ! والحمد لله أنه لم يعرب الطبعة الثانية المراجعة من قواعد الفهرسة الأنجلو – أميركية وإلا عدّها من إعداده.

ولعل لنا همسة في أذن القارئ الكريم، أليس مثيرًا ومدهشًا ذلك التنقل «الفريد» لشخص واحد بين عدد من المنظمات العربية في فترة معينة من فترات حياتها نحن نعرفها جميعًا، حيث قام بترجمة أو إعداد كل أو معظم التقنينات والمعايير والأدوات الفنية والأدلة الإرشادية متناسيًا كل الجهود السابقة ومستنزفًا لأموال طائلة من المنظمات دون عائد حقيقي على المكتبات ومراكز المعلومات العربية.

وعلى العموم فتلك قصة أخرى هي موضع نظر الآن.

٢ – كيف يمكن لفرد أن يدعي أن مصطلحاته هي المصطلحات الحقيقية وكلنا يعلم حال المصطلحات العربية في مجال المكتبات والمعلومات وفي غيره من المجالات . ونرجو أن يعلم الزميل المحترم الأستاذ أتيم أن الأمر لا يستحق أن نناقش مصطلحاته الخاصة واحدًا بعد الآخر، لكننا نلفت انتباهه إلى أن المصطلحات التي استخدمناها في تعريبنا الحالي هي تلك التي تمت الموافقة عليها في التعريب الذي نشرته المنظمة من قبل، كما أن بعضها قد وافق عليه مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي يضم خبراء من سائر البلاد العربية. وسوف نحيله إلى المصدر الذي يشتمل على المصطلحات التي أقرها المجمع العريق لعله لم يعرف بصدوره [٦].

وما ينطبق على المصطلحات ينطبق أيضًا على أسماء علامات الترقيم. ولعل ذلك يدعو إلى أن يراجع الناقد نفسه ويدقق في استخدام الألفاظ؛ فما يرى أنه صحيح هو صحيح من وجهة نظره الشخصية فقط.

الأمثلة

رغم صعوبة توفير أمثلة عربية لكافة الحالات الواردة بالقواعد الأصلية نظرًا لطبيعة الإنتاج الفكري

العربي نفسه ومحدوديته في بعض الحالات إلا أننا قد بذلنا أقصى جهد ممكن في سبيل توفير مثل هذه الأمثلة. ومن المؤكد أن الطبعة العربية الكاملة والطبعات التالية لها - بإذن الله - سوف تشهد المزيد من الأمثلة العربية بل والتعديلات العربية للقواعد نفسها .

الأخطاء الشائعة وما شابهها

تلك آفة الكتب العربية عامة وكتب الفهرسة بصفة خاصة بما في ذلك الكتب التي أصدرها محمود أتيم نفسه. وليس هنا مجال التفصيل في ذلك، لكن الأمل كبير في أن تراعي دور الطباعة العربية هذه المسألة فيما يتعلق بالكتب الأساسية وأدوات العمل على وجه الخصوص.

الجدة والحداثة

أشار الأستاذ محمود أتيم بتسرع إلى أن الطبعة الجديدة التي قدمناها طبعة متقادمة حتى قبل صدورها.

ونود الإحاطة بأن النص المعرب قد دُفع به إلى المطبعة في منتصف عام ١٩٩٣ ولم نتمكن من إدخال التعديلات رغم علمنا بها لسبب بسيط جداً هو أن التعديلات صدرت عام ١٩٩٣ بعد انتهاء مراجعة بروفات كتابنا. ونود الإحاطة أيضاً بأن التعديلات حتى عام ١٩٩٣ قد عُربت بالكامل مع إشارة إلى ذلك بالنص نفسه وبالمقدمة. ومعنى ذلك أن الطبعة المعربة أشمل وأحدث من الطبعة الإنجليزية المنشورة عام ١٩٨٨.

اختتام

لا يعرف قيمة الجهد الذي بذلناه في إتاحة نص قواعد الفهرسة الأنجلو - أميريكية (طبعة ١٩٨٨) بالعربية وتزويده بالأمثلة اللازمة إلا كل مخلص غيور على مهنته وعلى تخصصه.

لقد بذلنا كأفراد متخصصين ما نستطيع تقديمه دون أن نلجأ إلى مكاتب للترجمة كما يفعل الآخرون ودون أن ندعي الكمال فالكمال لله وحده.

إننا ندعو إلى أن يعتزل وأن ينسحب غير القادرين على العمل المتخصص الجاد، وندعو إلى التكاتف من أجل أن يكون تخصصنا تخصصاً قوياً محترماً. وعلى كل حال فقافلة المخلصين تسير رغم كل شيء .

تحية إلى الزميل العزيز الأستاذ محمود أتيم على التعليق الذي قدمه، و كم كانت سعادتنا ستكون أكبر لو أنه تمهل قليلاً وتحرى الدقة، ومع هذا فإننا نكن له كل تقدير واحترام على جهده الكبير .

المصادر والهوامش

١- قواعد الفهرسة الأنجلو - أميركية، الطبعة الثانية - مراجعة ١٩٨٨/ تحليل ونقد محمود أحمد أتيم.- المجلة العربية للمعلومات.- مج١٦، ع١ (١٩٩٥).- ص ١٣٤ - ١٤٦.

٢ - قواعد الفهرسة الأنجلو - أميركية، الطبعة الثانية مراجعة ١٩٨٨/ [مراجعة] محمود أحمد أتيم.- عالم الكتب.- مج ١٧، ع٢ (مارس/ أبريل ١٩٩٦).- ص١٦٤- ١٧١.

٣ - إتيم ، محمود أحمد. هل نحن بحاجة إلى طبعة عربية ثانية لقواعد الفهرسة الأنجلو أميركية المعربة؟.- رسالة المكتبة.- مج ٢٧، ع١ (مارس ١٩٩٢).- ص٤- ١٧ .

٤ - قنديل، يوسف محمود الأخرس.- رسالة المكتبة.- مج٣٠، ع٣ (سبتمبر ١٩٩٥).- ص ٧٢.

٥ - الهجرسي، سعد محمد. التقنيات العصرية للوصف الببليوجرافي: تعريبات وتأصيلات وإرشادات.- ط٢.- القاهرة: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة التوثيق والإعلام، ١٩٧٦.- ٣مج.

٦ - الهجرسي، سعد محمد. المكتبات وبنوك المعلومات في مجمع الخالدين وحديث السهرة.- القاهرة: البيت العربي للمعلومات، ١٩٨٥ «مصطلحات المكتبات والمعلومات في مجمع اللغة العربية بالقاهرة».- ص١٨- ٨٦.